جمعية الثقافة من أجل التنمية　　بالاشتراك مع　　جامعة سوهاج

المؤتمر العلمي العربي الثالث

التعليم وقضايا المجتمع المعاصر

٢٠- ٢١ أبريل ٢٠٠٨م

نحو الخلاص النهائي

الأستاذ الدكتور / على أحمد مدكور

أستاذ تطوير المناهج الدراسية والبرامج التدريبية

جامعة القاهرة

المجلد الأول

نحو الخلاص النهائي

إعداد/ أ.د. على احمد مدكور

أستاذ تطوير المناهج الدراسية والبرامج التدريبية .

جامعة القاهرة

لقد جعلت ثقافةُ العولمةِ التكنولوجية عصرنا هذا، عصرًا يلهث فيه قادمة يكاد يلحق بسابقه، وتتهاوى فيه النظم والأفكار على مرأى من بدايتها، وتتقادم فيه الأشياء وهى فى أوج جدتها، عصرًا تتآلف فيه الأشياء مع أضدادها؛ حتى أعلن البعض "نهاية الأضداد"؛ نهاية تضاد الجميل والقبيح في الفن، واليسار واليمين فى السياسة، والصادق والزائف فى الإعلام، والموضوعي والذاتي في العلم، وهنا وهناك في المكان، والحاضر والمستقبل في الزمان!.

وعلى الرغم من كل ما يزهو به عصرنا من ثراء معلوماته، ووفرة بياناته، وقدرة نظمه وآلاته، وديناميةِ تنظيماته، وسرعة قراراته.. رغم كل هذا.. ما يزال الإنسان متعطشا للمعرفة الصادقة، ومتلهفا إلى الحكمة البصيرة، التى تنفذ من فيضان المعلومات المضللة ومن عبث الأيدي الخفية التى تعوله، وتسيطرة على ثقافته، واقتصاده، وبيئته، ومعظم نظمه وأوضاعه الاجتماعية، لحساب الأهواء، والأطماع والمصالح الخاصة للمعولمين.

إن ثقافة عصر العولمة وحتميتها التكنولوجية التى تقوم على مبدأ "اللحاق أو الانسحاق"، توجب علينا أن نفتح نوافذنا لتهب عليها الرياح من كل جانب، ولكن يجب ألا نسمح لها أن تقتلعنا من جذورنا، أو أن تطمس معالم شخصيتنا.

إننا في حاجة إلى " أسلمةٍ "و "عوربة"، لا إلى "عولمة". ولا يعني هذا نفي الآخر أو عدم التعامل معه، وإنما يعني أن نختار مما لديه، ما نحن في حاجة حقيقية إليه، ولنا قادرين عليه.

إننا – باختصار- بحاجة إلى عالمٍ يعاد بناؤه على أسس إيمانية ربانية وسلوكيات أخلاقية مغايرة لما هو عليه الآن، عالمٍ يرفض الوضعيةَ العلميةَ وصلفَها الفكري، ويرفض البراجماتيةَ ونفعيتها قصيرة النظر، ويرفض ذاتيةَ ما بعد الحداثة، وقد اقتربت من حد الفوضى، التي يمكن أن تورد الحضارة الحديثة مورد الهلاك.

إننا بحاجة إلى التحول من ثقافة الحتمية التكنولوجية إلى ثقافة الخيار التكنولوجي، والتكنولوجية البديلة، والتكنولوجيا من أجل الإنسانية، وبحاجة إلى تطوير تكنولوجيا المعلومات بحيث تستحيل إلى تكنولوجيا المعرفة والحكمة، التي ترد العلم إلى أخلاقيات الدين، وتبحث عن الحق دون أن تضحي بالخير، وتفعل الخير دون أن تغفل بالجمال.

إن في قول الحق سبحانه:

﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

البقرة: من الآية٢٢٣

معنى يشبع في القرآن كله، كما يقول الشيخ محمد الغزالي. هذا المعنى هو: " تقوى الله، والإعداد ليوم اللقاء، وانتظار بشريات سارة بعد دنيا لم تخل من الكدر والقلق".(١)

هذا المعنى الشريف يصحح للإنسان هدفه، ويضبط خطاه، ويقيه الزيغ والإيثار. وقد كان أئمة التربية عندنا يعتمدون على هذا المعنى عندما يعجزون عن إصلاح الأوضاع

(١) محمد الغزالي: على وأدوية، دمشق، دار القلم، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص٥.

السياسية والاقتصادية؛ لا لأنه يعني عن سلامتها؛ بل لأنه يخفف من ضُرّها، ويقلل من خللها.

إن ضغوط العولمة، وفوضي الإعلام، والضغوط الثقافية الوافدة قد غَبَّشتْ رؤية كثير من الناس للإسلام، ومع ذلك فقد جعلت ثُلَّةٌ قليلة منهم يفيقون لما يراد بهم، فعكسوا على تصويب رؤيتهم، وإقامة العقائد التي تربط الناس بالله عز وجل، وتجعل تعامُلَهم مَعَه وخوْفَهُم مِنْه. وأمَلَهُم فيه.

إن المؤكد " أنه عند فساد الفطرة لا يوجد دين، وعند اختلال العقل أو نقصانه لا يُفْهَمُ وَحْيٌ. ولأن الأوامر الجزئية المتناثرة المنفصلة عن رُوح جامع لا تُكوّن سُلوكًا، كما أن اللَّبنات المركومة، وأسياخ الحديد الملقاة لا تُنْشِئُ بيتًا".

" إن تعليمات المرور لا تُفيدُ من أصيب بانفصال الشبكية، أو من أصيب في صمامات القلب".

" ولقد أقام نبينا ﷺ حضارة حققت الغاية العليا من الوجود الإنساني، وكانت عُدَّته في ذلك ما تلقَّى من وحي، وما أُلهم من هُدَى". (٢)

إن تصحيح المسار الإنساني كان وما يزال سيظل محكوما بضبط الأجهزة الرئيسية في الكيان الإنساني. وهي العقل، والقلب، والفؤاد، والسمع، والبصر.

وعلى هذا النهج أسير هنا في تشخيص الداء، وتلمُّس الدواء لأزمتنا المعاصرة في العالم الإسلامي عامة، وفي العالم العربي على وجه الخصوص. والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

---

(٢) المرجع السابق، ص٦.

فوضي العولمة:

يؤكد الباحثون أن العولمة وحتمياتها التقانية تحاول جاهدة أن "تُرَوْبِتَ" الإنسان وأن "تُؤَنْسِنَ" الرُّبُوت! وأن تأثيراتها على النواحي العقائدية والأخلاقية والسلوكية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أصبحت تنذرُ بفوضي عارمة في القيم الحاكمة في العالم كله بصفة عامة، وفي العالم العربي والإسلامي بصفة خاصة.

وهناك نتائج مذهلة، قضت بالفعل أو تكاد تقضي على القيم الإنسانية الحاكمة في العالم، وتُحوّله إلى عالم من الظلم والإرهاب والفوضى التي يستحيل معها الأمن الإنساني والاستقرار البشري.(انظر: الرسم)

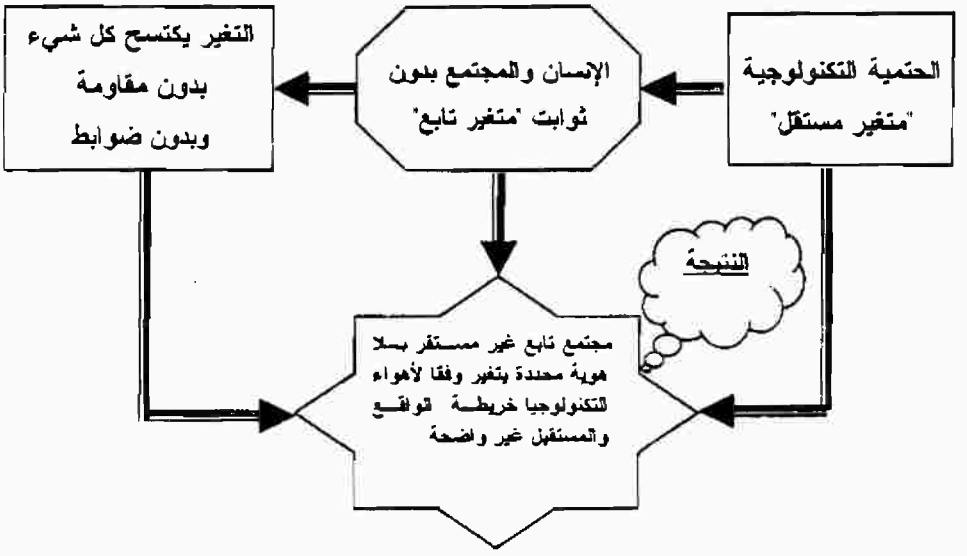

(نموذج أ)

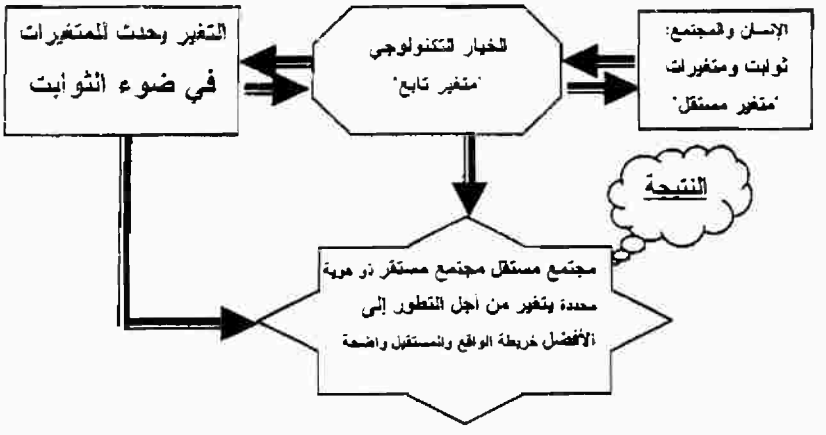

(نموذج ب)

الإنسان والمجتمع "متغير مستقل" والخيار التكنولوجي "متغير تابع"(٣)

(٣) انظر: على أحمد مدكور: التربية وثقافة التكنولوجيا، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص٢١٥-٢١٦.

هذه النتائج لها مظاهر واضحة في العالم الخارجي وفي العالم العربي والإسلامي ومن أهم هذه المظاهر في العالم الخارجي:

١- الانهيار العظيم للقيم الاجتماعية فى العالم المتقدم وقلة المواليد:

لقد ناقش فرنسيس فوكاياما فى كتابه "نهاية التاريخ" قضية "المستقبل"، ودار النقاش حول سؤالين مهمين: الأول: ماذا جنى العالم من وراء ثورة التكنولوجيا فى أواخر القرن العشرين؟ والثانى: ما مستقبل المجتمعات التي سيطرت على الكرة الأرضية وروجت لسياسة العولمة في القرن الحادي والعشرين؟

وقد حاول فوكا ياما الإجابة عن السؤال الأول في جملة قصيرة مكونة من كلمتين وهي "الانهيار العظيم"، وهو عنوان كتابه الجديد الصادر مع بداية القرن الحادي والعشرين :

The Great Disruption: Human Nature and the Reconstruction of Social Order.(١)

فهو يرى أن الثورة العلمية التكنولوجية قد حولت المجتمعات من عصر الصناعة إلى عصر المعلومات. لكن التحول من عصر الصناعة إلى عصر الثورة التقانية الذي بدأ في الستينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة والدول الصناعية الكبرى قد أدى بالتدريج إلى تدهور خطير في الظروف الاجتماعية فى معظم هذه الدول؛ فاتجهت معدلات الجريمة والاضطراب والانهيار في الارتفاع، مما جعل المناطق الأكثر ثراء في المدن الكبرى غير قابلة للعيش فيها!(٥)

---

(٤) انظر: تقرير التنمية البشرية الإنمائى لعام ١٩٩٢، فى عبدالله بوبطانة "سياسة التغيير والنمو في مجال التعليم العالي" في المجلة العربية للتعليم العالي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس العدد الأول، شعبان ١٤١٦هـ ديسمبر ١٩٩٥م، ص١٢٥.

(٥) انظر: سيد البواب: الثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة (الثورة الصناعية الثالث): ماهيتها، محاورها، نتائجها تأثيرها، الطبعة الثالثة، القاهرة، البينان للطباعة والنشر، ٢٠٠١م، الباب الخامس، ص ١١٨-١٥٣

وتسارع بصفة خاصة انهيار العلاقات والصلات الأسرية كمؤسسة اجتماعية مستقرة، وتدنت معدلات الخصوبة في معظم هذه البلدان وفي اليابان، بدرجة تنذر بأن هذه المجتمعات المتقدمة ستعاني من ندرة سكانية في القرن الحادي والعشرين.

وتزامن كل هذا مع تراجع معدلات الزواج، وزيادة حالات الطلاق، ومن ثم قلة المواليد. وترصد بعض الإحصاءات أن نحو ثلث الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية يولدون وينشأون خارج مؤسسة الزواج، وترتفع هذه النسبة إلى حوالي نصف الأطفال في الدول الاسكندنافية! (٦)

ويربط فوكا ياما بين التحول الاجتماعي نحو التدني على النحو السابق، وبين الانتقال إلى عصر المعلومات؛ فالتحول من العمل العضلي إلى العمل العقلي قد أدى إلى زيادة فرص النساء في سوق العمل، وقد أدي هذا بدوره إلى تقويض مؤسسة الأسرة وضعف الروابط بين أفرادها، كما أدت قدرة المرأة على إعالة نفسها إلى تربية أطفالها بدون زواج أو تفضيلها المستقبل المهني والوظيفي على تكوين الأسرة وإنجاب الأطفال! وقد يسرت التكنولوجيا المتقدمة موانع الحمل التي مكنت المرأة من ممارسة الجنس دون الخوف من العواقب وإنجاب الأطفال، وأصبحت فكرة الزواج وإنجاب الأطفال لدى معظم الأوربيين موضة قديمة! (٧)

ويربط فوكا ياما بين "دولة الرفاه" التي أعلت من قيمة "الفردية" التي تجاوزت مصالح المجتمع وبين "الانهيار العظيم"، الذي جعل الحكومات تقنن الإجهاض، وتقدم المعونات للأمهات اللاتي يعشن مع أطفالهن بدون زواج!

---

(٦) انظر: تقرير التنمية البشرية الإنمائي لعام ١٩٩٢، في عبدالله بوبطانة. المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٧) المرجع السابق ، ص ١٢٦-١٢٧.

وفى إجابته عن السؤال الثاني – ما مصير المجتمعات التى سيطرت على العالم وروجت لثقافة العولمة؟- يرى فوكاياما أن الجنس البشري بطبيعة تكوينه مدفوع إلى إيجاد القواعد الأخلاقية والنظام الاجتماعي الذي يحكمه، ذلك أن الوضع الذي يسيطر عليه عدم الأخلاق هو بطبيعته غير مريح لبناء حضارة إنسانية مستقرة.(٨)

لكن فوكاياما لا يرى للدين دورًا قويًا في مواجهة الانهيار الأخلاقي العظيم في الدول المتقدمة. ويرى أن العودة للدين ستتخذ أشكالاً مظهرية للارتياح النفسي الذي يثيره الدين فى نفوس الناس. وبذلك ضل الطريق في عدم إيجاد العلاقة القوية بين الدين والمجتمع والأسرة!

ولمعالجة قضية نقص المواليد وانكماش حجم الطاقة العاملة، لجأت أمريكا والغرب إلى وضع استراتيجية انتقائية لتهجير العقول المدربة عالية الكفاءة من الجنوب خاصة من آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية. وقد بدأت الاستراتيجية فى العمل من النصف الثانى للقرن العشرين، ويتزايد العمل بها مع تزايد انكماش الفئة العاملة المستمر هناك حتى الآن.(٩)

وكان هذا هو النهب العالمي الثاني للطاقة البشرية العاملة بعد النهب الأول الذي تمثل في خطف الشباب والأطفال من الجنوب وخاصة من أفريقيا واستعبادهم في الشمال خلال القرون الثلاثة الأخيرة.

٢- تنفيذ نظرية الفضاءات الخارجية وتداعياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية:

(٨) المرجع السابق، ص ١٣٥ و ١٤٦.

(٩) انظر: سيد البواب، المرجع السابق، الباب الثالث، الفصل الأول "نظرية تساقط الآثار الإيجابية للثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة"، ص٦٩-٩٩.

تتمثل هذه النظرية، التي ظهرت بشكل واضح فى النصف الثاني من القرن العشرين، فى إقامة فضاءات اقتصادية فى دول الجنوب وإدارتها مركزيًا في دول الشمال مع إعطاء أدوار استراتيجية متزايدة لمثلث المنظمات الدولية الثلاث: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومؤسسة التجارة العالمية في تسيير اقتصاديات الجنوب، بما يسمح بإحكام المركزية الاقتصادية لدول الشمال على الفضاءات الاقتصادية لدول الجنوب وإلحاقها بها، وضمان تبعيتها لها.

وبذلك تستطيع المراكز الاقتصادية المتقدمة في دول الشمال السيطرة والإحكام على موارد دول العالم الثالث، كما تؤدي إلى تآكل السلطة الوطنية في دول فضاءات الجنوب، الأمر الذي يمهد للشركات المتعدية القارات وللاستثمارات الأجنبية إلى إدارة هذه الفضاءات نيابة عن مراكز الرأسمالية المتقدمة، بما يحقق أهداف الفضاءات الاقتصادية لمراكز دول الشمال.(١٠)

وبذلك تحافظ المراكز الاقتصادية الرأسمالية فى دول الشمال على الهيمنة والسيطرة على السوق العالمية، والتجارة الدولية، عن طريق هذه الفضاءات الاقتصادية العملاقة!(١١)

لكن الصين قد بدأت في الدخول إلى حلبة الصراع إلى جوار اليابان في القرن الحادي والعشرين، قائدة لفضاء اقتصادي أسيوى عملاق، وحاملة أقوى الأسلحة، وهي السلاح الاقتصادي، والسلاح الصناعي، والسلاح التكنولوجي، والسلاح التجاري.

(١٠) سيد البواب: نظرية الفضاءات الاقتصادية، القاهرة، البيان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٢١-٢٢.
(١١) المرجع السابق، ص ٢٣.

وبهذه التغيرات ينتهي بالتدريج عصر العملاق الأمريكي لينتهي به المطاف في نهاية الربع الأول تقريبًا من القرن الحادي والعشرين ليكون رابعًا بعد الصين واليابان وأوربا الموحدة. ولتنتقل زعامة العالم الاقتصادية من الغرب إلى الشرق.

من أجل تطبيق نظرية الفضاءات الاقتصادية وإحكام السيطرة على فضاءات دول الجنوب، كان لابد من استقطاب الطاقة المفكرة التي يمكن أن تقود حركة المقاومة ضد التبعية الاقتصادية لدول الشمال، والتمسك بالهوية والشخصية الوطنية. فتسارعُ تطبيق استراتيجية الاستنزاف للطاقات التقانية المتمثلة في العقول المفكرة والقوى العاملة المؤهلة تأهيلاً عاليًا. ولم يحد من تسارع تطبيق هذه الاستراتيجية إلا أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وما تبعتها من إجراءات في الولايات المتحدة والغرب عمومًا، تحد من الحريات، وتأخذ بالشبهات، وتعاقب بلا جرائم، مثل تلك التي تحدث في نظم دول الجنوب المستبدة.(١٢)

من الفضاءات الخارجية إلى الملاذات الآمنة!

يقول الأستاذ صلاح الدين حافظ: "عندي حساسية شديدة من البنك الدولي، كلما ذكر اسمه أتحسس مسدسي، وتتدفق الدماء في شرايِيني ثائرة غاضبة.

والحساسية ليست مصطنعة، لكنها ناجمة عن تجارب البنك الدولي السوداء خصوصًا مع الشعوب الفقيرة، والدول الصغيرة النامية. فعبر أكثر من ثلاثين عاما على الأقل، مارس البنك الدولي -وهو الذراع الطويلة للدول الرأسمالية الكبرى- وصايته، وقدم توصياته لنا ولأمثالنا، انطلاقا من فكرة أساسية، هي تطويع اقتصاديات الدول الصغيرة

(١٢) المرجع السابق، ص ٥٦-٥٧.

والفقيرة لصالح اقتصاد الدول الصناعية الرأسمالية الكبرى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا التطويع استدعي فرض روشتة شبه ثابتة علينا، قوامها الخصخصة، واقتصاد السوق، وإعادة الهيكلة، وبيع أصول الدولة بما في ذلك البنوك الوطنية، والصناعات الاستراتيجية، والموانى، والمطارات، والطرق... وفي النهاية رفع يد الدولة تماما عن النشاط الاقتصادي.

وهذه الروشتة سياسية أكثر منها اقتصادية. وهي لم تثمر حتى الآن عن رفع الاحتقانات والمعاناة الاجتماعية، بل فعلت العكس! فما أصابنا من وصايا البنك الدولي ورفيقه صندوق النقد الدولي، ومن توصيات الدول الرأسمالية الكبرى هو المزيد من الفقير بل والإفقار المتزايد، وهو البطالة والجوع والاحتقان الاقتصادي والاجتماعي المولد للغضب والتمرد والتطرف.. بل والحاضن الرسمي لتحالف الاستبداد والفساد.

إن تحالف الفساد والاستبداد قد أدي إلى عدم الشفافية، وإلى قهر إرادة الشعب وكبت حرياتها، وسرقة أموالها وتهريبها وإيداعها في بنوك الملاذات الآمنة في الغرب السعيد ليزدد اقتصاده ازدهارًا وسعادة، وتزداد بلاد الفضاءات الخارجية فقرًا وجهلاً وكئابة!

ولنا أن نتصور لو بقيت هذه الأموال لتستثمر في صالح أصحابها من الشعوب الفقيرة المنهوبة، لما عانت من الفقر والمجاعات والأوبئة والتطرف والصراعات والحروب والهجرات غير الشرعية طلبا لحياة أفضل.

وفي تحالف الفساد والاستبداد وغياب الشفافية تبرز نتيجتان: الأولي توحش تحالف الفساد والاستبداد مسنودًا بقوة المال وسلطة الحكم، مدعومًا بجماعات الضغط

ورجال الأعمال الراغبين في الكسب السريع وتهريب أرباحهم إلى بنوك الملاذات الآمنة والثانية تراجع الاقتصاد الوطني الشرعي لصالح ازدهار الاقتصاد الأسود، الذي يعرفه الخبراء بأنه اقتصاد العمولات الصفقات السرية، وتجارة الأسلحة والمخدرات، وغسل الأموال، والدعارة، والتهريب، وتجارة البشر، ونهب الديون من البنوك. وهو اقتصاد هائل وغير مرئي، ولا يستطيع أحد -حتى البنك الدولي- تقدير حجم أمواله، ولا رصد حركتها وسرعة انتقالها..

لكن المؤكد أنه -غالبا- تستقر آخر المطاف في بنوك الملاذات الآمنة في الغرب.

إن أمريكا والغرب قد رفعت أسعار البترول وهي تعرف أن أموال هذا البترول ستؤول إلى بنوكهم مرة أخري ولن يستفيد منها المنتجون إلا النذر اليسير!

وقد صرح رئيس البنك الدولي "روبرت زوليك" في سبتمبر ٢٠٠٧ -محاولا لميع صورته وتحسين سمعته- بضرورة استعادة الأموال المنهوبة من الدول الفقيرة، التي سرقها الحكام الفاسدون، والمهربون، وأودعوها في بنوك الدول الصناعية الغربية؛ لتكون خصما من ثروة الفقراء ورصيدًا متزايدًا للأغنياء، وتكون للنهابين سندًا آمنًا في ملاذ آمن عد إخراجهم من السلطة، أو هروبهم أينما أسرع!

قال:لا يجب أن يكون هناك أي ملاذ آمن لمن يسرقون الفقراء، ولا يجب أن يفلت الحكام الفاسدون من حكم القانون. (١٣)

نظرية الفضاءات الخارجية

وأثرها الثقافي واللغوي في الوطن العربي

(١٣) صلاح الدين حافظ:"الفساد واستعادة الأموال المنهوبة" الأهرام، صفحة قضايا وآراء،٢٦سبتمبر ٢٠٠٧،ص١١.

يقول بعض الباحثين العرب إنه تحت ضغوط عوامل العولمة، وضغوط اللغات الأجنبية، وضغوط العاميات، تتأثر اللغة العربية الفصيحة، ويتقلص نفوذها. وإذا استمر الوضع على ما هو عليه اليوم، وعما هو متوقع في المستقبل القريب، فإن العربية ستئول تدريجيا إلى الضمور والأفول، وستتحول إلى لغة مرتهنة جدًا في طقوسات رسمية أو تعبدية، أو إبداعية في حدود ضيقة.

وبذلك يحذر الدكتور عبدالسلام المسدّي من وضع دولي أصبح يساعد على الزهد بالفصحى، ويشجع على نمو حقول التداول باللغات الأجنبية، وبالعاميات في كل المجالات الثقافية الإعلامية والإعلانية في أقطار الوطن العربي.(١٤)

وليس هذا من باب المؤامرة؛ لأنه يُعد سرًا، ولم يُعد شيئًا مسكوتًا عنه، وإنما أصبح مرسومًا في سجلات الخطط الإستراتيجية الدولية.(١٥) فهناك جهات دولية تعرض اليوم تمويلا سخيًا لإنجاز أفلام ومسلسلات ومواد إعلامية وإعلانية عربية شريطة أن تكون بالعامية لا بالفصحى! وهناك فضائيات ظهرت حديثا تنفذ المرسوم بدقة شديدة.

وما علاقة هذه الاستراتيجية بما قامت به إحدى جامعاتنا العربية بإنهاء عقود نحو سبعين أستاذًا للغة العربية والدراسات الإسلامية في عام واحد في سنوات هذا القرن استجابة لتعليمات قوى خارجية هدفها تقليص العربية، ورفع كل ما يصل بها في المناهج التعليمية، بدعوى القضاء على التطرف، وإحلال اللغة الإنجليزية محلها؟!

ما الذي يجعل العولمة تسعى بأساليبها الخشنة والناعمة في محالة تشكيل النظام التعليمي بما يضعف الأنماط الثقافية الوطنية، ويحقق التوجه العولمي للتنميط والهيمنة؟!

---

(١٤) عبدالسلام المسدي: العربي، العدد ٥٨٧، رمضان ١٤٢٨هـ أكتوبر ٢٠٠٧م، ص٦٦.
(١٥) المرجع السابق، ص٦٦.

إننا نري بأم أعيننا كيف يتغلغل التعليم الأجنبي في بلادنا، وكيف زحف رويدا رويدا حتى تنامت مؤسساته، وأصبحت كيانا مؤسسيا مستقلاً بدءًا من رياض الأطفال حتى الجامعة. ونري -عجبًا- كيف ترسخت هذه المنظومة التعليمية الأجنبية التي أقيمت وفق نظام بلد المنشأة وتم الاعتراف الرسمي بها، وكيف أُبحت خارج نطاق الإشراف الحكومي أو متابعته الفنية التربوية!(١٦)

ما الذي جعل سياساتنا التعليمية تسمح بفتح الجامعات الأجنبية التي تعلم أبناءنا بلغاتها ومن خلال ثقافاتها، وتسمح لكل كليات الطب والصيدلة والزراعة والعلوم والهندسة وغيرها من كليات العلوم الأساسية أن تعلم باللغات الأجنبية؟

وما الذي شجع كليات العلم الإنسانية كالتجارة والحقوق والآداب على فتح شعب وأقسام بها للتعليم باللغات الأجنبية، والتمييز بين القادرين على الدفع وبين غيرهم من الفقراء داخل الكلية الواحدة، والقسم الواحد؟!

وماذا وراء انبهار الجماهير العربية بثقافة الغرب ولغاتها، وتدهور اهتمامهم باللغة العربية، وعدم اعتزازهم بها، وإلحاق أبنائهم بالمدارس والجامعات الخاصة؛ التي تعلم باللغات الأجنبية، والافتخار بذلك، واعتباره نوعا من الوجاهة الاجتماعية، ودليلا على التقدم الحضاري!!

وماذا وراء غياب إرادة الإصلاح اللغوي، وعجز الحكومات، وعدم رغبتها في فرض تشريع ملزم بعدم استخدام اللغات الأجنبي في التعليم وفي لافتات المحلات، وإبرام الصفقات، وعقد المؤتمرات وغير ذلك من إدارة شؤون الحياة العامة؟

هل نحن في حاجة ماسة إلى تعريب العقل العربي؟!

---

(١٦) انظر: بثينة عبد الرؤوف رمضان: مخاطر التعليم الأجنبي على هويتنا الثقافية وقيم المواطنة والانتماء. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م،ص١٣.

٣-تطبيق نظريات مالتوس وغيره فى تحديد النسل:

قامت نظرية مالتوس في تحديد النسل على افتراض أن طاقات الأرض ومدخراتها محدودة، وأن التزايد السكاني غير محدود، وأن هذا سيحدث خللاً في التوازن، مما يؤدي إلى انتشار المجاعات على وجه الأرض، فلابد من تحديد النسل.

والتحليل المتسرع للمجاعات المنتشرة على وجه الأرض الآن قد يميل إلى هذه النظرية. لكن التحليل الدقيق يؤكد أن المجاعات المتزايدة على وجه الأرض الآن هي لأسباب أخرى غير نقص الطاقات، بل إن أكثر المجاعات على وجه الأرض تقع في أكثر البلاد خصوبة وطاقات كامنة، وأن هذه المجاعات تصنع عمدًا وتستغل لأغراض سياسية واحتكارية، ولإحكام السيطرة على فضاءات دول الجنوب بواسطة دول الشمال وأدواتها التي تتحكم في تسيير اقتصاديات هذه الدول، وهي: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومؤسسة التجارة العالمية.

إن أقوات الحياة "مقدرة في بنية الأرض، وفي نظام الكون... وهي حقيقة واقعة تكذب كل إدعاء آخر، وتسْخر من نظريات المتشائمين والداعين إلى تحديد النسل.. فهناك موافقات في كيان الحياة ذاته، وفى الظروف المحيطة بها، تجعل حقيقة تقدير الأقوات أوسع من مادة الأقوات ذاتها... وتمد محيطها إلى ما في بنية الكون من طاقات ومدخرات، وما في تكامل الأحياء من عمليات تعويض، وما في ضوابط الحياة من ضمانات للتناسق بين بعض الأحياء وبعض، وبين الأحياء جميعًا والأقوات المدخرة".(١٧) قال تعالى:

(١٧) سيد قطب: مقومات التصور الإسلامي، القاهرة، دار الشروق، ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، فصل: حقيقة الكون.

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ فصلت:٩-١٠

لقد كان الغرب أول من أخذ بنظرية مالتوس وأمثاله ممن يدعون إلى ضرورة تحديد النسل، وساعدت متغيرات الثورة الصناعية وما صاحبها من انهيار أخلاقي وتفكك أسري، وخروج المرأى للعمل، وتفضيل المهن والخروج للعمل والتكسب، وسيادة القيم الفردية على حساب القيم الاجتماعية، وبناء الأسر. وإنجاب الأطفال.. ساعد كل هذا في تناقص المواليد، وانكماش فئة الطفولة في أوربا وأمريكا والغرب عمومًا. وقد أحدث هذا بدوره انكماشًا في الفئة العاملة المنتجة، في ذات الوقت الذي حدث فيه اتساع في الفئة المُعالة في سن المعاش نتيجة تطور الطب والدواء والخدمات الصحية. وقد أحدث كل هذا خللاً في التوازن بين اتساع متطلبات المعالين، وانكماش فئة المنتجين وتزايد مطالبهم المادية والمهنية.

وقد حاولت المجتمعات الصناعية علاج هذا الخلل في التوازن عن طريق إحداث حزمة من الإجراءات من أهمها:

- استنزاف الطاقة العاملة المؤهلة من الفضاءات التي تسير في تبعيتها من دول الجنوب، وحرمان أهلها الذين أنفقوا على تعليمها وتدريبها منها.
- الاستغناء التدريجي عن العنصر الإنساني في الإنتاج والتسويق وإحلال الآلة والمكننة الصناعية محل الإنسان الذي تزايدت متطلباته المادية والمهنية.
- إنشاء الشركات متعدية القارات التي تحكم السيطرة على الفضاءات الاقتصادية الجنوبية بتواجدها هناك واستغلال ما في هذه الفضاءات من عمالة ما هرة، ومواد

خام، وأسواق واسعة، وإدارة هذه الفضاءات نيابة عن المراكز الرأسمالية في دول الشمال!

- ولكي تقوم هذه المؤسسات العملاقة بعملها فهي تحاول جاهدة تهميش الإنسان العربي والمسلم، وإخراجه القسري من مجري العصر العام المشترك، عن طريق محو ذاكرته التاريخية والقومية، والإسلامية، وتزييف وعيه الاجتماعي، وفصله عن وطنه وأمته، واستخدام مؤسسة الإعلام لدفعه إلى ثقافة الاستهلاك العبثي الذهم والسلوكيات الجماهيرية المسطحة والمشوشة والتفتيتية، وإعادة توجيه السياسات وإفراغها من محتوياتها الإنسانية، وتبرير كل أنواع الظلم والقهر للإنسان وبيئته وإبعاد المجتمع عن المقاصد الكبرى المتمثلة في الحرية والعدالة والديمقراطية.

إن الإنسان لا يملك إلا أن يصاب بالذعر عندما يدرك أن معظم علماء العراق الذين لم يتم تصفيتهم، قد تم تهجيرهم وفق خطة منظمة إلى أمريكا وبلاد الغرب. وأن نحو ثلاثة أرباع المؤهلين تأهيلا عاليًا في أفريقيا يتم استنزافهم بواسطة البلاد الأوربية.(١٨)

٤- استنزاف العقول:

لقد أصبح واضحًا أن هجرة العقول تُعدُّ أحد أنماط السلوك العربي المألوف عامة والمصري على وجه الخصوص. وأن هذا السلوك يمارس من قبل البلاد العربية بشكل مخطط على بلاد الجنوب منذ أكثر من قرنين من الزمان.

ويؤكد كثير من الباحثين وأصحاب النقد الأدبي أن تأثيراتها الاجتماعية – خاصة تغيير ترتيب القيم الحاكمة- على جانب خطير من الأهمية والتأثير في حاضر المصريين والعرب والمسلمين ومستقبلهم المنظور.(١٩)

---

(١٨) انظر تقرير التنمية البشرية الإنمائي لعامي ١٩٩٢ و ٢٠٠٥م، U.N.DP، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(١٩) ناصر كامل: روايات الهجرة، في: الكتب وجهات نظر، العدد (٩٢) ، سبتمبر ٢٠٠٦، ص ٦٤.

وتتمثل المشكلة هنا في أن هناك عمليات تهجير منظمة للكفاءات من البلاد العربية والإسلامية وبلاد الجنوب عمومًا، إلى الدول الصناعية الكبرى في الشمال والغرب والشرق!

إنها عملية " تهجير" و "استنزاف"، وليست مجرد "هجرة"؛ لأنها عملية ليست تلقائية، ولا اعتباطية عشوائية. كما إنها ليست مؤقتة؛ تعود بعدها الطيور المهاجرة إلى أوطانها. ولكنها استجابة لتشريعات خارجية، ورغبات داخلية، انتقائية في اختيارها واستقطابية في التيسير لها، وتعبوية في تقنينها. واستنزافية في كثافتها. كما أنها متدفقة، ومتصلة، ومتزايدة في اتجاه واحد، تنبع من قنوات الدول الموصوفة بالتخلف لتصب في محيطات الدول الموصوفة بالتقدم !!!(٢٠)

ولا شك أن الكفاءات العلمية التي استنزفت، والتي ما تزال تستنزف، تزداد عامًا بعد عام بسبب عدم الاستقرار السياسي، والضيق الاقتصادي، وبسبب تزايد المدارس والجامعات ذات الطابع الأجنبي، التي يتزايد إنشاؤها في الأقطار العربية وبعض الأقطار الإسلامية، وبسبب الأعداد الكبيرة من الباحثين الذين يخرجون للدراسات العليا في البلاد الصناعية، ويتم إغراؤهم فلا يعودون! وبسبب التسهيلات الكثيرة التي تقدمها بعض الحكومات العربية لأبنائها المتميزين لتشجيعهم على الهجرة؛ حتى أن بعض الحكومات كان لديها وزارات للهجرة، وفق نظرية "الإبعاديات" التي أنشأها محمد على باشا سابقًا!

ومن العوامل التي دعمت عملية الاستنزاف الحروب التي أشعلت في البلاد العربية والإسلامية بعوامل خارجية وداخلية مثل احتلال فلسطين وحرب ١٩٦٧، وحربي الخليج الأولى والثانية وحروب أفغانستان، والشيشان، وجنوب السودان، ودارفور، واحتلال

(٢٠) أحمد الربايعة: دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية عمان، دار الثقافة والفنون، ١٩٨٧، ص ٩٥.

العراق، وغير ذلك من الأمور التي كانت سببًا في صراعات اجتماعية، ومشكلات سياسية وأمنية، وانخفاض في مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

لقد خططت القوى الخارجية -قُوى العولمة- ودَفَعَتْ مُستخدمه آلياته الجبارة لإحداث معظم مظاهر الخلل العقائدي والأخلاقي والسلوكي في كل جوانب الحياة الفيزيائية والاجتماعية: سياسية، واقتصادية، واجتماعية في بلاد الجنوب عامة، وفي مصر والبلاد العربية والإسلامية خاصة.

ومن أهم مظاهر هذا الخلل ما يلي:

أولاً: الغبش الذي أصاب رؤية المسلمين للتصور الإسلامي للألوهية، والكون والإنسان والحياة وما ينتج عنه من انحرافات:

إن التفسير الشامل للوجود المتمثل في إدراك وفهم حقيقة الألوهية؛ وحقيقة الكون غيبه وشهوده؛ وحقيقة الإنسان من حيث مصدره، ومركزه في الكون، ووظيفته في الحياة وغايته؛ وحقيقة الحياة بشقيها الفيزيائي المادي والاجتماعي الإنساني.. أقول: إن الإدراك والفهم قد أصيب عبر قرون الجهل الماضية، وعبر ضغوط العولمة وحروبها المعلنة والمستترة بغبش كاد وأن يطمس معالم هذه الرؤية الكلية للتصور الإسلامي.

إنه بناء على فهم الإنسان لهذا التفسير الشامل للوجود -الذي نسميه عادة الفلسفة- وعلى فهمه لحقيقة مركزه في الوجود الكوني، ولغاية وجوده الإنساني، يُحدّد منهج حياته، ونوع النظام الذي يحقق هذا المنهج، ويفرِّق بينه وبين المناهج الأخرى.

إن هذا التفسير الشامل للوجود المتمثل في التصور الإسلامي للألوهية، والكون والإنسان، والحياة، هو هوية المجتمع الإسلامي، وشخصيته المتميزة، فإذا أغفلت مناهج

التربية هذا التصور، فإن المجتمع الإسلامي يصبح قائلاً للاستلاب الثقافي والانحراف عن استقامة فطرة الله فيه.

فلو قامت مناهج العلوم الشرعية بدورها الكامل في ترسيخ عقيدة أن الله خلق الإنسان ليكون عبدا لله وسيدا للكون، وأن الكون مسخر لخدمة الإنسان.. لو تعامل الإنسان معه وفق توجيهات الله، لما وجدنا ذلك الأديب الذي يتصور الكون كتابا مغلقا لا يستطيع الإنسان أن ينفذ إلى سطر واحد من سطوره، وغيبا مجهولا وظلاما دامسا لا يعرف الإنسان فيه من أين جاء، ولماذا جاء، لا يدري أين يذهب، ولا يستشار في الذهاب!

لبست ثوب العيش لم استشر ... وحرت فيه بين شتي الفكر

وسوف أنضوه برغمي ولم ... أدرك لماذا جئت أين المقر!

ولو تعاونت نصوص الأدب والقراءة وعلوم النفس والفلسفة والاجتماع في رسم صورة الحياة الإنسانية بنظمها ومؤسساتها التي ينبغي أن يجاهد الإنسان في إعمارها وفق منهج الله، لما وجدنا ذلك الأديب الذي يصور الإنسان مجهول المصدر والمصير مسلوب الوعي والإرادة.

جئتُ، لا أعلم من أين، ولكني أتيت.. ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت.. وسأبقي ما شيا إن شئتُ هذا أم أبيتُ.. كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري!!

ولو تعاونت مناهج العلوم الدينية مع مناهج العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية في ترسيخ قيم الإنسان على اعتبار أنه مخلوق لإعمار الأرض وترقية الحياة، وفي إبراز طبيعة الحياة وطبيعة العلاقات والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، لاختلفت قيم الحياة في حس الأدباء والفنانين، واختلف اتجاههم الفني والأدبي. فلو علمنا كلا منهم مثلا أنه قطرة

في نهر الحياة، ولكنها قطرة تحس بأهداف النهر من المضي والتدفق والإرواء والإحياء لكان للحياة في نظرهم قيم أخري، ولو رسّخنا في شعر كل منهم أنه نفخة من روح الله تلبست جسده، ليكون خليفة الله في الأرض، ينشئ فيها ويبدع، لكان للحياة في نظره قيم أخري، ولما قال أحدهم:

جـايين الـدنيا مـا نعـرف ليـه ... ولا رايحـين فـين، ولا عـايزين إيـه

مشـــاوير مرســـومة لخطاوينـــا ... مشـــيها فـــي غريـــة لياليـنـــا

يـــوم تفرحنـــا، ويـــوم تجرحنـــا ... وإحنـــا ولا احنـــا عـــارفين ليـــه !!!

لكن الواقع أن هذا التصور قد حُورب من الخارج ومن داخل البلاد الإسلامية نفسها! ففي الخارج شُنّت موجات من الحرب على الإسلام بواسطة الفكر الماسوني وموجات التبشير، والحرب المعلنة صراحة على الإسلام باسم الإرهاب، والرسوم المسيئة للرسول محمد ﷺ، ومحاولات التدخل في مناهج التعليم ما تزال قائمة حتى الآن! في كل البلاد الإسلامية عامة، وفي البلاد العربية على وجه الخصوص.

وقد تأخذ هذه الحرب شكل التشكيك في النص القرآني ومحاولة تفكيكه وإعادة بنائه من جديد، بحيث يصبح نصا من النصوص البشرية العادية. وقد تأخذ شكل التشكيك في سنة الرسول ﷺ ... والحرب ما تزال مُعلنةً ودائرة بقصد تجفيف منابع الإسلام، ووضع إسلام مُعَوْلَم يُبشّر بالثقافة الغربية!!

فكرة تجفيف المنابع:

لقد زاد الغبش في فهم التصور الإسلامي للألوهية والكون والإنسانْ والحياة نتيجة الفكرة التي ترى أن محاربة الإرهاب إنما تكون بتخفيف منابعه في القرآن والسنة واللغة التي تعلم للأطفال المسلمين! وترتب على تنفيذ الفكرة إقصاء التربية الدينية وجعلها مادة

عديمة القيمة، وعدم تدريس مقررات الثقافة الإسلامية في كثير من الأقطار العربية، وتهميش اللغة العربية وإحلال اللغات الأجنبية محلها، ثم جاء التدخل المباشر في النظم التعليمية ومناهجها من قبل أمريكا والغرب كما هو واقع الآن.

خطورة فكرة تخفيف المنابع:

لقد أثبتت التجربة أن ذلك التجفيف وما ترتب عليه من تسطيح التربية الدينية في المدارس والضغوط التي تمارس على الأزهر، وعدم توفير نصيب من الثقافة الإسلامية الوسيطة على المستوى الجامعي هو الذي غيب مدارس الوسطية في فكر الشباب، وهو الذي شجع فئة منهم على التطرف والإرهاب، في حين أن التدين الرشيد هو الذي يقوي مناعة الشباب ويحصّنهم ضد كل أفكار العنف وأساليبه، ويوفر لهم طريقًا آمنا وأملاً في إمكان إحداث التغير المرجو بالطرق السليمة؛ فتيسير الحلال هو أنجع الأساليب لقطع دابر الحرام.(٢١)

ومع ذلك فإن رئيس مركز أبحاث العولمة في كندا "وليام كولمان" يذكر ثلاث حقائق جديدة أكدتها مراكز بحوث العولمة في العالم:

الحقيقة الأولى: هي أن ثورة المعلومات والاتصالات وسهولة السفر والانتقال والاتصال عبر الإنترنت، قد مكنت المهاجرين -على غير المتوقع- من البقاء على اتصال مع أهليهم وذويهم في وطنهم الأم، ومن الحفاظ على ثقافتهم.

بل إن التسهيلات التي أحدثتها ثورة الاتصالات قد جعلت باستطاعة المهاجرين من أي مكان أن ينقلوا معهم ثقافته، وأن ينشئوا وطنًا مصغرًا في المهجر يشبه كثيرا موطنهم الأصلي...

(٢١) فهمي هويدي: الأهرام، ١١ ديسمبر ٢٠٠٧م.

وبذلك فإن العولمة -على غير المتوقع- لم تلغ الثقافات، بل على العكس عَمقت التمسك بها، وجعلت كل طائفة تتمسك بثقافتها، وتحاول إظهارها والاحتفاء به، الأمر الذي نتج عنه نوعا من التوتر أو قلة التسامح بين الثقافات في البداية كما هو حادث الآن في بعض البلدان.

الحقيقة الثانية: لقد ساد في وقت من الأوقات أن العولمة قادرة على جعل العالم قرية صغيرة تسود فيها ثقافة عالمية واحدة!

لكن مراكز بحوث العولمة ترى أن الأمور تسير في الاتجاه المعاكس، وما فعلته العولمة هو أنها جعلت الناس أكثر وعيًا باختلافاتهم، وجعلت هذه لاختلافات تتزيد وتبدو أكثر وضوحًا يوما بعد يوم.

الحقيقة الثالثة: أن ثورة الاتصالات وسيلة الاتصال عبر الأقمار الصناعية والإنترنت لم تلغ فقط فكرة صياغة "سلام مُعَوْلَم"، بل إنها -على العكس- لقد أزالت الاختلافات بين البلاد الإسلامية نفيها، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إنها بسبيل نشر "الإسلام العالمي" في شتى ربوع العالم.

لقد حارب أصحاب الديانات العولمة بنفس أسلحتها وأدواتها.. ومن الخطأ الاعتقاد بأن هذه الجماعات تمثل العودة إلى الماضي.. الحقيقة أنها جماعا عصرية للغاية بسبب الطريقة التي يعرضون بها الدين، ويروجون له، والوسائل التي يستخدمونها.(٢٢)

في هذه اللحظة أتذكر قول الحق سبحانه:﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴾(٢٢) وقوله:﴿...وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾(٢٢)

صدق الله العظيم

(٢٢) الدكتور وليام كولمان: تحقيقات الأهرام، ٢٠٠٧/١٠/٣١.
(٢٢) سورة البروج : الآية ٢٠.
(٢٢) سورة الأنفال : من الآية ٣٠.

ثانياً: تعثر المشروع النهضوي العربي:

يتمثل هذا المظهر – كما يقول الدكتور على فخرو – في تعثر، إن لم نقل فشل المشروع النهضوي العربي بمكوناته الكبرى المعروفة وهي: الوحدة العربية، والتنمية المستدامة المستقلة، والعدالة الاجتماعية والاقتصادية، بكل أنواعها وآلياتها، والتحرر والاستقلال الوطني والقومي، والتجدد الحضاري بآلياته التربوية ونتائجه الثقافية والمعرفية والقيمية والسلوكية.(٢٣)

إن نظرة سريعة إلى واقع العرب اليوم يشير إلى تعثر مفجع في كل مكونات المشروع النهضوي، بل إن هناك دلائل إلى تراجع مقلق في بعضها، وخاصة ما يتصل بالاستقلال القومي؛ فالوحدة العربية التي تهيأت لها ظروف مواتية في الخمسينيات والستينيات تراجعت اليوم إلى إمكانية تفتيت بعض أقطارها، بل وإلى وجود خطر كبير حتى على رموزها المعنوية المتمثلة في جامعة الدول العربية، ومؤتمرات القمة العربية، والاستقلال الوطني والقومي.. فكل ذلك يترنح اليوم أمام المشروع الاستعماري الأمريكي الصهيوني الذي يحتل العراق ويدمرها اقتصاديًا وبشريًا وحضاريًا، ويسعى إلى إعادة تشكيل المنطقة برمتها، وترسيخ الاستيطان الصهيوني في الأراضي العربية.

فالاستثمار في البحث العلمي الذي يصل إلى أكثر من ٣٪ من مجموع الدخل القومي في الدول الصناعية، لم يتجاوز ٠,٥٪ في معظم البلاد العربية. كما أن نسبة العلماء والباحثين لكل ألف من السكان لم يتجاوز الرقم (١) في معظم البلاد العربية، في حين أن هذا المعدل قد وصل إلى حوالي (٥) في البلاد الصناعية. وقد وصل معدل الإنتاج العلمي للباحث الواحد إلى أكثر من بحثين سنويًا في الدول الصناعية، إلا أن هذا المعدل لم

(٢٣) على فخرو: "دواعي التجديد والتحديث في التعليم" ، في قضايا عربية، سلسلة كتاب المستقبل، جامعة السلطان قابوس، عُمان ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٥٦.

يتجاوز(٥٠) نصف بحث في معظم البلاد العربية؛ أي أن البحث الواحد قد يستغرق عامين لدى الباحث في الجامعات ومراكز البحوث العربية! (٢٤)

ومع ذلك فإن معظم بحوث الماجستير والدكتوراه في العالم العربي قليلة القيمة فنتائجها -كما يقول الدكتور حامد عمار- لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا تشبع أية رغبة في المعرفة. وتبدو بذلك لا تاريخية، ولا مضيئة لأي فهم أو نقد للتبصر فى الحلول،أو مساعي التغيير أو التطوير.. وتستوي فى ذلك البحوث في مجالات العلوم الطبيعية /البيولوجية أو العلوم الإنسانية/ التربوية. (٢٥)

ولم يكن مستغربًا ما أدلى به الدكتور أحمد مستجير- عالم الهندسة الوراثية الجليل- حين سئل في أحد الحوارات التلفزيونية لماذا لا يتم الاستفادة من الكم الهائل من البحوث الجامعية في برامج الإصلاح ومشروعاته؟ فأجاب بسخرية لاذعة: إن على معظم هذه البحوث أن تبقى قابعة على رفوفها؛ فهي جديرة بها. -ويضيف الدكتور حامد عمار راجيًا ألا تتبرم تلك الرفوف بما عليها من أثقال. (٢٦)

وهناك أسباب كثيرة وراء هذا التدني في مستويات البحث العلمي من أهمها:

- غياب الديمقراطية والحرية الأكاديمية، وضعف الأطر القانونية والمؤسسية والتشريعية التي تشجع على البحث، وتدفع عجلة التطور القومي في البلاد العربية.
- غياب الاقتناع الحقيقي بقيمة العلم فى حل المشكلات واتخاذ القرارات.
- غياب الاعتماد على الذات في تطوير العلوم والتقانة، وعدم الإيمان بالقدرة الذاتية في تطوير العلوم والتقانات الفائقة.

(٢٤) انظر: تقرير مراجعة الاستراتيجية العربية عام ١٩٩٧، ص ١٤٦-١٤٧.
(٢٤) بثينة عبد الرؤوف رمضان: مخاطر التعليم الأجنبي على هويتنا الثقافية، وقيم المواطنة والانتماء: القاهرة دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، تقديم الدكتور/ حامد عمار، ص ١١.
(٢٥) المرجع السابق، ص١٢.

بشكل عام، يمكن القول إن معظم مظاهر التدني في هذا الحال قد صنعت أسبابه خارجنا. ويرى نبيل على – أن معظم هذه الأسباب نابعة من داخلنا أيضًا، ويأتي فى مقدمتها رسوخ روح التبعية التكنولوجية، التى باتت إحدى مسلمات واقعنا؛ حتى وصل استسلامنا واسترخاؤنا إلى حد أن ٨٠٪ من قيمة أعمال الاستشارات والتصميمات، في عالمنا العربي، توكل إلى بيوت الخبرة الأجنبية! وأن التبادل الأفقي التكنولوجي بين البلاد العربية في مجال المعلوماتية يكاد يكون غائبًا.(٢٦)

وقد أدى كل ما سبق إلى نزوح الباحثين الجادين، وأصحاب الخيال الخصب، والطموحات العريضة إلى البلاد التي تلقفتهم بكل ترحاب، ويسرت لهم بعض ما تيسره لأبنائهما، وعندما يعود بعض هؤلاء حاملين آمالهم فى إفساح المجال لهم لخدمة أوطانهم، فإننا غالبًا نسد أمامهم كل أبواب العمل الجاد، ونغرقهم في أنشطة من نوع العلاقات العامة، فيعودون محبطين إلى بلاد المهجر!

ثالثًا: تغلغل المؤسسات التعليمية الأجنبية:

تضغط العولمة بأنواعها المختلفة من اجل السعي الحثيث للهيمنة على مصائر الشعوب، بالأساليب الخشنة أو الناعمة، في محاولة تشكيل هذه الشعوب فى نمط ثقافي موحد (Mono Culture).(٢٨)

ولما كان التعليم من بين أهم وأخطر الآليات فى تحقيق ذلك التوجه العولمي، فإن قضية تغلغل المؤسسات الأجنبية في التعليم العام والعالي يغدو من الأمور المهمة والأساليب الناعمة لإنجاز عملية التشكيل والهيمنة.

---

(٢٦) نبيل على: العرب وعصر المعلومات، الكويت، عالم المعرفة، للعدد (١٨٤)، شوال ١٤١٤هـ- أبريل/ نيسان ١٩٩٤م، ص ٢٠٢.

(٢٨) حامد عمار فى بثينة عبدالرؤوف رمضان، مرجع سابق ، ص١٣.

وتبين لنا الدكتورة/ بثينة عبدالرؤوف رمضان في رسالتها للدكتوراه، كيف أن مدارس التعليم قبل الجامعي الأجنبية أخذت تزحف رويدًا رويدًا، حتى أن المؤسسات الأمريكية؛ أي مدارس التعليم قبل الجامعي قد أصبحت نظامًا أمريكيًا مستقلاً داخل التعليم المصري، بدءًا من رياض الأطفال حتى الجامعة! كما أن هذه المنظومة قد ترسخت، وتم الاعتراف الرسمي بها، حتى أصبحت تقع خارج نطاق الإشراف الحكومي أو المتابعة الفنية أو التربوية لها! (٢٩)

لقد ظهرت هذه المدارس في أول الأمر كفصول ملحقة ببعض مدارس اللغات الخاصة، تمنح شهادة الثانوية العامة الأمريكية (هاي سكول) هام ١٩٩٦م، ثم تحولت إلى مدارس متكاملة، تضم جميع المراحل التعليمية بدءا من عام ١٩٩٩م، حيث تم إنشاء مدرستين بجميع المراحل التعليمية. وقد قفز أعداد هذه المدارس إلى ٥٠ مدرسة في بداية عام ٢٠٠٥م، ثم وصلت على ٦٥ مدرسة في بداية عام ٢٠٠٦م، وما يزال الزحف مستمرًا. (٣٠)

ومن الغريب أن هذه المدارس لا ترِدُ أعدادُها في القوائم الإحصائية لمؤسسات التعليم التي تنشرها وزارة التربية والتعليم!

والحاصل أن ظاهرة انتشار التعليم الأمريكي قد أخذت تشيع - بدرجات متفاوتة- في معظم أقطار الوطن العربي. بحيث أصبحت كيانًا لا يستهان به في جسم التعليم العربي، ومنافسًا خطيرًا للثقافة العربية الإسلامية. (٣١)

---

(٢٩) المرجع السابق.

(٣٠) المرجع السابق، ص١٤.

(٣١) فكرى شحاته أحمد :" مدارس اللغات" في موسوعة سفير لتربية الأبناء، المجلد الثالث، القاهرة، دار سفير، ١٩٩٧م، ص ٧١٦.

وعلى غرار المنظومة الأمريكية السابقة، فإنه ليس بمستبعد أن تزحف باستمرار عملية إنشاء المدارس الإنجليزية والألمانية والفرنسية لتكون مع ما أنشئ من جامعاتها الأمريكية والفرنسية والألمانية والكندية.. إلخ- منظومة تعليمية أجنبية وفق نظام بلد المنشأ!

ومن ثم تتباين عقول الخريجين ووجداناتهم وانتماءاتهم الثقافية والحضارية. وكل منها يغني على ليلاه الثقافية والسياسية والاقتصادية.(٣٢)

"ومن ثم يتوقع -تأسيسًا على توجهات الحاضر- أن يكون لدينا في الأفق الزمني غير البعيد منظومات تعليمية متكاملة الحلقات، ومتعددة الانتسابات: حكومية عربية، وحكومية لغات (تجريبيات)، وخاصة عربية، وخاصة لغات أجنبية: أمريكية وفرنسية وبريطانية وألمانية، ولكل منها مقاصدها السياسية والاقتصادية والثقافية، مدعومة بأجوائها الثقافية ومناهجها التعليمية، وبذلك تصبح، وتغدوا، وتمسي الساحة التعليمية عندنا (سداح مداح)، كما عبر بذلك المرحوم أحمد بهاء الدين عندما كان يتحدث عن ظاهرة الانفتاح المنفلت من كل قيد أو شرط، والذي بدأ في منتصف السبيعينيات.(٣٣)

وفي زمن البطالة المتفشية يتزايد الطلب على هذا النمط من التعليم الذي يهيئ خريجيه للعمل في السوق العالمية وشركاته متعدية القارات، وبذلك يتحول بعضهم إلى "قوى ناعمة" كما يقول الدكتور حامد عمار- سواء العاملون منهم في الخارج أو الباقون في الداخل- أو "سلسلة قياد" كما قال الأستاذ فهمي هويدي، في تشكيل نمط ثقافي عولمي!(٣٤)

(٣٣) حامد عمار في بثينة عبدالرؤوف رمضان، مرجع سابق، ص٥.
(٣٤) المرجع السابق، ص١٤.

مدارس اللغات وهجرة التكنولوجيا:

إن التعليم الذي كان سائدًا في البلاد العربية قد أهمل بفعل الفترة الاستعمارية وفتح المجال واسعًا أمام سيطرة النظم الموروثة من المستعمر، لتستمر في نشر الثقافة الغربية والنيل من الثقافة العربية الإسلامية.

وبهذه السياسة أخذت المدارس الأجنبية في الانتشار والتوسع في البلاد العربية، بحيث أصبحت كيانًا لا يستهان به في جسم التعليم العربي، ومنافسًا خطيرًا للتعليم الوطني والقومي، كما سبق أن أوضحنا.

إن جل الدراسات التي عالجت هذا المشكل في بلدان العالم النامي، أظهرت أن الثقافة التي تروجها المدرسة في كثير من هذه البلدان، ثقافة غربية، تقود إلى الاستلاب الثقافي والحضاري. وأنها محملة بالمخلفات الاستعمارية، وتسهم في نشر المعارف، وتقديم النماذج والقيم التي لا تمت إلى الثقافة العربية الإسلامية بصلة، وتبتعد كل البعد عن مفاهيم التلاميذ وممارساتهم اليومية.

يقول أحد الباحثين: "نتجاوز باب المدرسة، وكأننا تجاوزنا حاجزًا حدوديًا، لا يكتسي فقط طبيعة معرفية، ولكنه يكتسي أيضًا طبيعة ثقافية.. مما يجعل التعامل مع المجتمع صعبًا في المستقبل"، ويؤدي بالتالي إلى هجرة هذه العقول إلى البلاد الغربية التي تربوا في ثقافتها.

والثقافة العربية الإسلامية ليست غائبة أو مهمشة في هذه المدارس فحسب، بل إنها مهمشة تمامًا في مؤسسات التعليم العالي. وتسهم هذه التوجهات الوضعية لهذه المؤسسات التعليمية، ليس فقط في التخصصات الأدبية والاجتماعية بل في العلوم

الأساسية والتطبيقية أيضًا في تقويض التكوين الإسلامي الذي تلقاه التلاميذ في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية.(٣٥)

وهنا يمكن سر الحيرة الفكرية التي يتخبط فيها الشباب، وسر ظهور التيارات المتطرفة التي لا تخدم التناسق الاجتماعي، والتضامن الإسلامي في شئ.(٣٦)

وقد أدت هذه السياسة بالتدريج إلى القضاء على مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية حيث عملت على تمييز فئة معينة داخل المجتمع، وإعدادهم ليصبحوا صفوة المستقبل وضمنت لهم التفوق على أبناء العامة، والوصول إلى مراكز القوة في المجتمع.(٣٧) وارتبط معظم أبناء هذه الفئة بالنمط الثقافي الغربي، الذي غالبًا ما يؤثر على الهوية الثقافية ويضعف الانتماء العربي والإسلامي، ويحقق المصالح الأجنبية.

صعوبة الدخول إلى مجتمع المعرفة:

إن التعليم باللغات الأجنبية وهجرة التكنولوجيا يؤدي بالضرورة إلى وصعوبة الدخول إلى مجتمع المعرفة.

إن التكنولوجيا هي التطبيق العملي للعلم والفكر. واللغة هي الرحم الذي يصنع الفكر. فاللغة ليست وسيلة للتفكير، إنها منتجة للفكر، ومولدة للمعاني والأفكار؛ أي أنها منتجة للعلم وللتقانة. واللغة ليست وعاء للثقافة، وليست وعاءً خارجيًا لفكرة أو لعاطفة

---

(٣٥) انظر: هندي ليزوب، ١٩٧٧م، ص١٢، في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ص٣٢.. وأنظر أيضًا: حسان محمد حسان: التعليم باللغات الأجنبية في المدارس الرسمية العربية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، وانظر: أحمد كمال عشور: دور مدارس اللغات في مصر: نظرة تحليلية، في مؤتمر نحو مشروع حضاري تربوي لمصر، ١١-١٣ أبريل ١٩٨٧، رابطة التربية الحديثة بالقاهرة. وانظر أيضًا/ فكرى شحاته أحمد: تربية الصفوة وبناء القوى في المجتمع المصري المعاصر، في مجلة التربية المعاصرة، العدد التاسع، يناير ١٩٨٨.

(٣٦) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: نحو استراتيجية لتطوير التربية في البلاد الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥١ و ٦٩.

(٣٧) سامي نصار: قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥م، ص ١٩٨.

أو لقيمة، إنما هي علاقاتٌ ودلالاتٌ داخل الكلمة المفردة، أو بينها وبين غيرها من الكلمات بما يُشكِّلُ بنيةً نسقيةً لها قوانينُها الخاصة.(٣٨)

إذا كانت اللغة أساس توليد الفكر التقاني وتطويره، فهل نعلم أبناءَنا بلغتنا، لغة الأم، أم بلغات أجنبية؟

إن اللغة منهج للتفكير، ونظام للاتصال والتعبير. وهي بهذا المعنى نظام حياة ومعنى أن نعلم أبناءنا بلغات أجنبية أن نجعلهم يزدادون بعدًا وغربة عن اللغة العربية ويزداد شعورهم بصعوبتها، والنفور منها، ويدَّعون أنها لا تصلح للعلم والتقانة!

إن المخططين للسياسة التعليمية قد صموا آذانهم، وأغلقوا عقولهم عن الحقيقة العلمية التي أجمع عليها الباحثون واللغويون، وهي أن التعليم بغير لغة الأم يغلق مفاتيح الفكر، ويعوق عملية الإبداع والابتكار لدى المتعلمين. كما سمحوا بإنشاء المدارس التي تعلم باللغات الأجنبية على مستوى التعليم العام، وهو الأمر المحرم لدى كل دول العالم التي تحترم شخصيتها وهويتها، رغم كل الاعتراضات في كل الندوات أو المؤتمرات!

وعلى مستوى التعليم العالي فقد سمحت السياسات بفتح الجامعات الأجنبية التي تعلم أبناءنا بلغاتها. كما سمحت لمعظم كليات العلوم الطبية والهندسية والصيدلانية والزراعية في العالم العربي أن تعلم باللغات الأجنبية.. وامتد الأمر إلى كليات العلوم الإنسانية كالتجارة، والحقوق، والآداب التي شُجعت على فتح شعب وأقسام بها للتعليم باللغات الأجنبية، والتمييز بين الطلاب القادرين على الدفع وغيرهم من الفقراء داخل الكلية الواحدة، والقسم الواحد!

(٣٨) علي احمد مدكور: تدريس فنون اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٤، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٣١.

إن النتيجة المترتبة على كل ذلك هي هجرة الطاقات التكنولوجية الشابة، المتوثبة إلى البلاد الصناعية، بعد أن صاروا ثمرةً ناضجةً، وطاقاتٍ متحفزةً للبذل والعطاء، وبعد أن تم تعليمهم وتدريبهم من أموال الفقراء ودافعي الضرائب!(٣٩)

إن الدخول إلى مجتمع المعرفة يتطلب منا أن ننقل البحوث والعلوم الحديثة إلى لساننا بدلاً من نقل أبنائنا وباحثينا إلى ألسنة الآخرين، الأمر الذى أدى إلى هجرتهم عنا واستنزاف الأخريين لهم.

ويتطلب هذا الأمر الاجتهاد في تعريب العلوم وتدريسها بالعربية. فهذا هو الذي يحول مجتمعاتنا من مجتمعات مستهلكة لما أنتجه الآخرون، إلى مجتمعات تسهم بكل طاقاتها الفكرية والثقافية في بناء المستقبل لها وللآخرين.

إن التعليم باللغات الأجنبية يضعف الحاجة إلى التعريب وترجمة العلوم والبحوث الجديدة إلي اللغة العربية. وضعف الترجمة يؤدي بدوره إلى ضعف الدخول إلى مجتمع المعرفة.(٤٠)

ففى رسالة بعث بها الأستاذ أحمد حسن الزيات قبل نحو ستين عامًا إلى وزير المعارف المصرية آنذاك يقول فيها: "إن العلوم اليوم أوربية وأمريكية ما في ذلك شك. وإن الفروق التى باعدت بين الشرق والغرب في مدلول الإنسانية الراقية إنما يجمعها لفظ العلم". وهذا العلم الذي يسخر السماوات والأرض للإنسان الضعيف. ويذلل القطعان الملايين للراعي الفرد، سيبقى غريبًا عنا ما لم ننقله إلى ملكنا بالتعريب، ونعمّمه فى شعبنا بالنشر، ولا يمكن أن يصلنا به أو يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب؛ فإن

(٣٩) على احمد مدكور: "مناهج اللغات والتكنولوجيا المهاجرة"، في موسوعة سفير لتربية الأبناء، المجلد الثالث مرجع سابق، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٤٠) محمد حسن عبدالعزيز: التعريب في القديم والحديث" ، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٠م، ص ٢٧٨.

من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة.(٤١)

إن عزل اللغة العربية عن علوم التقانة هو عزل للمجتمع عن هذه العلوم. وهذا ما تفعله الكليات العلمية في جامعاتنا هذه الأيام.

إن التنمية الإنسانية الشاملة تتوقف -إلى حد بعيد- على ما لأفراد المجتمع من قدرات علمية، ومهارات فنية، وطاقات تكنولوجية. فرهان التنمية مرتبط اليوم بمدى السيطرة على هذه المجالات الحيوية. ولكن أنَّى لأفراد المجتمع السيطرة على هذه المجالات وهي حبيسة مراجع لا يستطيعون قراءتها. وتُدرَّسُ لأبنائهم بلغات لا يفهمون منها إلا القليل؟!(٤٢)

نحو الخلاص النهائي:

ماذا نفعل لمواجهة الانهيار العظيم للقيم والأخلاق والاستنزاف الحاد للطاقات المادية والبشرية، والهجود الكبير على التربية والتعليم والثقافة العربية الإسلامية؟

أولاً- ترسيخ الإيمان بالله واليوم الآخر:

في عصر العولمة المتوحشة، التي تهدف -كما يقول الدكتور عبدالصبور مرزوق- إلى انتزاع أصحاب الدين من قيمهم وتقاليدهم وثقافتهم، إلى حيث يكونون مسخًا مشوهًا، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، والتي تعني أيضًا إطلاق العنان بلا قيود لنوازع الجنس، والحس الغليظ، والتحلل الأخلاقي، وتدمير القيم الإنسانية الباقية، وتدمير الأسرة، وإشاعة الشذوذ... إلخ ... في عصر هذه صفاته لابد من ترسيخ عقيدة الإيمان بالله، والأخوة في الله، والأخوة في الإنسانية، وترسيخ ثقافة العدل والسلام في عقول البشر... وهذا كله يتطلب

(٤٢) محمد حسن عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

إعادة النظر في سياسة التهميش المتعمدة للتربية الإسلامية، والثقافة العربية الإسلامية، إن هذا من شأنه أن يرسخ قيم الكد والكدح والصبر من أجل البقاء في الأوطان والعمل على إنهاضها وتقدمها، باعتبار أن وظيفة الإنسان في التصور الإسلامي إعمار الأرض وترقية الحياة. (٤٣)

ثانيًا- إحياء المشروع النهضوي العربي الإسلامي:

إن العقول تهرب إذا لم تجد ما يستوعب تفكيرها في مشروع ذي آفاق عالية. وهذا يتطلب إحياء المشروع النهضوي العربي الإسلامي بمكوناته الكبرى المعروفة:

- التحول إلى الشورى والديمقراطية.
- التحرر والاستقلال الوطني والقومي.
- الوحدة العربية الإسلامية.
- التنمية الإنسانية والاجتماعية الشاملة والمستدامة والمستقلة.
- العدالة الاجتماعية والاقتصادية بكل أنواعها وآلياتها.
- التجدد الحضاري، بآلياته الإسلامية التربوية، ونتائجه الثقافية والمعرفية والقيمية والسلوكية.
- تعمير سيناء باعتبارها ضمن أهم مقومات الأمن القومي لمصر.
- الاعتماد على الزراعة في توفير الغذاء الكامل للسكان، ثم التصدير.

إن هذا المشروع النهضوي الكبير المطلوب إقامته في عصر العولمة المتوحشة وحتمياتها التكنولوجية الجارفة، يتطلب تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية كبيرة.

(٤٣) على احمد مدكور: "الشجرة التعليمية" القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص٩.

فنحن نحتاج إلى التحول من الاستبداد إلى الديمقراطية، والمشاركة الشعبية ومن الاعتماد على الحكومات فقط إلى الاعتماد على الذات ومؤسسات المجتمع المدني.

نريد التحول من التمركز الجغرافي إلى الانتشار، ومن التخطيط الجزئي المعتمد على التفكير الخطي، إلى التخطيط الكلي المعتمد على التفكير المنظومي الذي يعمل حسابًا لكل عناصر الموقف أو النظام.

في عصر يعتبر التعليم كنزًا كامنًا نريد تعليمًا يبني قناعات التغير من الجمود إلى المرونة، ويؤدي إلى تنوع البشر وتمايزهم وإقدارهم على اختيار المعلومات، وإعادة صياغتها في نسق معرفي علمي وموضوعي، واستخدامها الاستخدام الأمثل في توليد الأفكار الجديدة، والنظريات الجديدة، والسيناريوهات المحتملة للمستقبل.

في عصر التحول من المعلومات إلى المعرفة، نريد تعليمًا ينتقل بالأمة من العمالة العضلية إلى العمالة العقلية، ومن التخصص الضيق إلى المرونة والمعرفة الشاملة، ومن المركزية إلى اللامركزية، ومن التنظيم الهرمي إلى التنظيم الشبكي، ومن الاقتصاد المتأثر بعوامل داخلية فقط، إلى الاقتصاد المتأثر بعوامل داخلية وخارجية، ومن النمطية إلى التمايز، ومن الخيار الواحد إلى الخيارات المتعددة. (٤٤)

ثالثًا- التحول إلى الشورى أو الديمقراطية:

إن العلماء وأصحاب العقول الفذة لا يستطيعون العيش في أجواء الخوف والاستبداد، والمركزية، والبيروقراطية المقيتة، لذلك يهربون حيث الانطلاق والحرية واحترام العلم وأهله.

---

(٤٤) انظر: انظر مسودة تقرير "تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين" منتدى الفكر العربي، المؤتمر السنوي السابع للهيئة العامة، عمّان- الأردن ١٢-١٤/٥/١٩٩٠.
نشر بعد ذلك في: سعد الدين إبراهيم: "تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين: "الكارثة أو الأمل" الكويت، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، ١٩٩١.

فإذا أردنا الاحتفاظ بهؤلاء، وإذا أردنا تحقيق أي من التحولات السابقة، فلابد أن نتحول إلى الشورى والديمقراطية الحقيقة التي لا تعتدي، ولا تظلم، ولا تحلل الحرام، ولا تحرم الحلال.

والديمقراطية التي ننشدها هنا يجب أن تفهم على أنها آلية لتحقيق العدل الاجتماعي، وليست دينا أو أيديولوجية كما يتخذها البعض. ولكي تتحقق ديمقراطية العدل الاجتماعي يجب أن يتوافر في آلياتها – ايا كان نوعها – ما يلي:

- أن يختار الناس الحكام.
- أن يعدل الحكام بين الناس.
- أن يطيع الناس الحكام إذا أقاموا العدل بينهم.
- أن يتشاور الحكام والمحكومون.

والشورى الإيجابية الفاعلة لها ثلاث مقومات:

الأول : أن يشارك الناس في صياغة القرار.

الثاني : أن يشارك الناس في تنفيذ القرار.

الثالث: أن يشارك الناس في الثمار الناتجة عن القرار.

فليس المهم – إذن- شكل التنظيم الديمقراطي وآلياته، وإنما المهم في المشاركة، وفي توزيع ثمار المشاركة على الناس بالعدل. ولن يتحقق لنا ذلك إلا إذا تعلم أبناؤنا الديمقراطية، على مستوى الفكر والممارسة في المدارس والجامعات.(٤٥)

إنه بدون حرية وبدون ديمقراطية حقيقية لن تتحقق السيادة الشعبية،(٤٦) وبالتالي لم تتحقق المشاركة الشعبية، ولن تستطيع الجمعيات الأهلية ومنظمات المجتمع

(٤٥) على أحمد مدكور: معلم المستقبل، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص ١١٩- ١٢٠.
(٤٦) تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥ في مصر، معهد التخطيط القومي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، "نحو عقد اجتماعي جديد. القاهرة، يناير ٢٠٠٦م، ص ١٢٧.

المدني عمل شيء؛ لأنها ستكون مكبلة بقوانين الطوارئ والإرهاب وآلياتها المركزية المستحكمة، وبكل طبائع الاستبداد ومتغيراته الثقافية المقيتة.

إن المجتمعات التي تتسم بعدم الشفافية، فَتْزوِّر الأرقام، وتزيف إرادة الجماهير في الانتخابات لن تكون قادرة على الدخول إلي مجتمع المعلومات فضلاً عن مجتمع المعرفة.. وهي فوق كل هذا تضعف الهمم والعزائم، وتقتل الإرادة، وتشيع التنازع والفرقة والفشل.

رابعًا- بناء الاقتدار المعرفي:

إن حضارة القرن الواحد والعشرين هي حضارة المعرفة فالمجتمعات القوية في هذا القرن هي المجتمعات التي تستوعب المعرفة، وتنمو على أساسها؛ حيث الأدمغة العارفة هي الطاقة المستقبلية ، والثروة البديلة. والضرورة الملحة في مجتمعاتنا الآن "هي ضرورة التحول من مستوى التعامل مع البيانات والمعلومات إلى مستوى بناء المعرفة وصولا إلى مستوى القدرة على اتخاذ المواقف في مختلف القضايا. فالشائع عندنا هو التعامل مع مرحلة البيانات الخام والشغل عليها لتحويلها إلى معلومات - فذلك ما يتوقف عنده البحث الوصفي في جامعاتنا . فتبقى المعلومات مكدسة دون تشييد لنظم معرفية ذات معنى وقابلية للاستخدام الوظيفي والنمو" (٤٧)

إن بناء الاقتدار المعرفي هو المدخل الوحيد الذي لا يمكن أن تحل إمكانات شراء الخبرة محله، ولا قيمة للموارد المالية مهما عظمت، في ضمان التنمية وحق الشراكة العالمية، إلا بمقدار ما توظف في بناء الاقتدار المعرفي .

(٤٧) مصطفى حجازى " إعداد الطالب الجامعي من أجل شراكة عالمية مستقبلية" في وقائع المؤتمر العلمي الثاني لقسم أصول التربية، جامعة الكويت، ١٧- ٢٠ أبريل، ١٩٩٤م، ص٤٧٥.

إن العقول المستنزفة هي العقول المفكرة والمبدعة، أما دون هؤلاء فهم يعودون من الموانئ أو يغرقون في البحر قبل الوصول إلي بلاد المهجر. إننا نصدر العقول القادرة على بناء المعرفة، وفي ذات الوقت نستورد الخبرة من الخارج!!!

إن بناء الاقتدار المعرفي يتطلب ما يلي (٤٨):

١. التحول في التعليم من أساليب التفكير الخطي إلي أساليب التفكير المنظومي وخرائط المعرفة؛ ومن تعلم المعلومات والمهارات مرة واحدة إلى منهجيات التعليم الذاتي وتعلم كيف نتعلم، والتعلم المستمر، والتعلم مدى الحياة. فالتدفق المعلوماتي المتزايد والتغيرات المتسارعة في الخريطة المهنية تتطلب ذلك.

أما إذا استمر الوضع القائم لعقد آخر، فإن الخسارة الجسيمة التي ستتكبدها بلد مثل مصر – كما يذكر تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥-، ستتمثل في تدمير رأسمالها البشري وفي تدهور مواردها الطبيعية التى لا يمكن تعويضها (٤٩).

وإن الثقافة العربية الإسلامية بكل ما تحمله من فرص إثراء غير مسبوقة في التاريخ البشري، تمثل جهدًا متكاملاً لبناء الناشئة والشباب، وتنميطهم كونيًا من خلال توحيد المرجعيات، والرموز، والأبطال، وتشكيل الأزواق، وبناء الرؤى الشاملة للكون والإنسان والحياة.

لقد ازدادت اليوم أهمية الثقافة في نظر المعولمين (بكسر اللام)؛ فلم يعد الاستهداف الثقافي وسيلة إلى غاية وإنما أصبح غاية في ذاته. لقد ارتقت الثقافة من كونها وسيلة لتحقيق الغايات لتكون هي الغايات ذاتها.

(٤٨) المرجع السابق، ص ٤٧٤- ٤٧٦.
(٤٩) تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥ في مصر، مرجع سابق، ص ١٦٩.

إن المنطق المقبول عالميًا الآن، هو أن التنمية الذاتية تحتم تشجيع الهوية الثقافية إذ لا يمكن أن تقوم تنمية ذاتية على أنماط ثقافية، وأساليب حياة مستمدة من ثقافة خارجية. وبالتالي فإن نظم التربية والتعليم العربية والإسلامية ينبغي أن تعمل على تشجيع الهوية الإسلامية. وهذه الهوية الثقافية سوف تساعد بدورها على نمو وتطور السمات الثقافية العالمية بجزء إسلامي بحت.

إن إشاعة المدارس والجامعات الأجنبية، والتقصير في حسن تعليم أبنائنا للغة العربية، واللجوء إلى التعليم باللغات الأجنبية يعطل مفاتيح الفكر، ويغلق أبواب الإبداع ويعرض مشاعر الارتباط القومي للوهن، ويغلق أمام أبناء الأمة باب التفاعل الحي الأصيل مع العلوم والتقانة، وكثيرًا ما يوقع في تبعية ذميمة، وفي انسلاخ أبناء الأمة عن جلدتهم، وتعرضهم لشتى أنواع النهب التكنولوجي والاغتيال الثقافي، والعدوان السياسي والعسكري.(٥٠)

إن الصراع الحضاري الذي يجتهد أطرافه في تقديم تفسير للماضي، وتأويل للحاضر وتشريع للمستقبل، في ضوء رؤى معينة للكون والإنسان والحياة، يستخدم الآن "الاختراق الثقافي" الذي يستهدف الإرادة، والنفس والعقل، كأسلوب للسيطرة على الإدراك، ووسيلة لإعادة تشكيل الوعي أو تزييفه.(٥١)

٢. تجاوز الاقتصار على التذكر والاسترجاع والاستيعاب إلى العمليات العقلية العليا كالتفكير المنطقي، والتفكير النقدي، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات، وبناء

(٥٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: تقرير مراجعة استراتيجية تطوير التربية، ١٩٩٧، تونس ص ١٤٨.
(٥١) نبيل علي: صورة الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في الإنترنت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٩.

العقلية العلمية القادرة على المقاربة العقلانية والمنهجية لقضايا العلم، والعمل والحياة.

٣. التحول من أساليب العزل والفصل، وتفتيت المعلومات، وإقامة الحدود بين المعارف، إلى التكامل، وتنظيم المعلومات في نظم معرفية دينامية مفتوحة ونامية إن الغاية الكبرى للتعلم في القرن والواحد والعشرين هي التكامل وإدراك علاقة كل شيء بكل شيء؛ علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الإنسانية، وبالعلوم الأدبية والفنية. إن الانفصام الثقافي بين التخصصات العلمية، والأدبية، والإنسانية يؤدي إلى تعذر إقامة الحوار بينها في إطار الدراسات متعددة التخصصات (٥٢) وباختصار لابد من التحول من الاختزال والتبسيط، إلى الشمولية القائمة على التعقيد؛ فليس هناك إمكانية للسيطرة على ظاهرة ما واستيعابها فعليا بدون مقاربة معقدة ومتكاملة، مهما بلغت متانة البرهان المنهجي الوصفي أو الإحصائي.

٤. التحول من مجرد كوننا رواة لتاريخ العلم وإنجازاته إلى صناعة العلم والابتكار والإبداع فيه. وهذا يتطلب التحول النوعي من تربية التبعية والتلقين، وعقلية التكرار وإعادة الإنتاج، إلى تربية الإبداع، ومحو الأمية الإبداعية كشرط لازم لولوج حلبة التنافس الإبداعي في الحال والاستقبال ؛ فالمبدعون وحدهم هم الذين يصنعون الحاضر والمستقبل.

٥. تقديم الدراسات المستقبلية في الجامعات وجعلها متطلباً جامعياً يدرسه جميع الطلاب ويدربون فيه على منهجيات البحث في المستقبل مثل: فرض الفروض

(٥٢) نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٨٤)، شوال ١٤١٤هـ أبريل ١٩٩٤م، ص ٢٧٨.

وتحليل السيناريوهات والمفاضلة بين البدائل والاحتمالات...الخ وتدريب الطلاب على استشعار الأزمات قبل حصولها والتدريب على احتوائها واتخاذ القرارات بشأنها مثل: أزمة البطالة، والانفجار السكاني، وهجرة العقول، والانهيار المفاجئ لأسواق المال، والبطالة، وتلوث البيئة، وعدم استقرار الأسعار في الأسواق .. الخ فلو كنا مدربين على منهج التفكير العلمي، وأسلوب حل المشكلات والتنبؤ بحدوث الأزمات قبل وقوعها، لتلافينا كثيرا من الأزمات الحادة مثل نكسة ١٩٦٧ والحرب الإيرانية العراقية، وحرب الخليج، ومشكلة المياه المتفاقمة حالياً ... الخ

٦. هدم الحواجز المصطنعة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية؛ فهذه الحواجز تحول دون تواصل المعرفة وتكاملها، كما تحول دون الأخذ بمنهجية الدراسات البينية (*Interdisciplinary Approach*) التي تعتمد عليها الدراسات المستقبلية.

٧. تدريب الطلاب على حسن قراءة التاريخ قراءة واعية، وتدريبهم على التخيل وتصور الواقع الافتراضي (*Virtual Reality*) للمستقبل، والاجتهاد في صنع معرفة جديدة عن المستقبل والاستعداد له.(٥٣)

٨. التحول من التدريس باللغة الإنجليزية والفرنسية في المدارس والجامعات، إلى تعريب العلوم والتدريس باللغة العربية . فما يزال كثير من الأساتذة في الجامعات العربية يعترضون على التدريس في الكليات العملية كالطب والهندسة والعلوم باللغة العربية(٥٤)!!!

---

(١) محمد عزت عبدالموجود: "التعليم والمستقبل" المؤتمر التاسع والعشرون، جمعية التعليم الكويتية، الكويت، أبريل ٢٠٠٠، ص ١٦-٢٢.

(٥٤) نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص ٣٩١-٣٩٢.

فمن المنظور المعلوماتي . كما يقول نبيل على إنه " يصعب تصور إمكان لحاقنا، بعصر المعلومات. عصر اقتصاد المعرفة وانفجارها، دون ترسيخ العلم في وجدان الإنسان العربي وعقله بلغته الأم (٥٥).

وهو هدف دون تحقيقه تقاعسنا في تعريب العلوم . إن الحجة القائلة أن تعريب العلوم سيقطع صلتنا بالمراجع الأصلية لهذه العلوم تتعارض مع تعدد مصادر المعرفة في عصر المعلومات، مما لن يجد الطالب معه مفرا من اللجوء إلى هذه المصادر، بالإضافة إلى ذلك ما تتيحه حاليا، وستتيحه مستقبلا تكنولوجيا المعلومات من وسائل عملية لدعم جهود العمل المصطلحي وترجمة النصوص العلمية آليا ".

٩. الانفتاح على العالم من خلال التربية الكونية التي تزود الطالب بثقافة عالمية تتعلق بقضايا العالم ذات العلاقات المتشابكة، والتحديات المتبادلة مثل قضايا البيئة، والسكان، والتلوث، والعولمة، والتكنولوجيا، والموارد العالمية، والمصير المشترك، والتعاون الدولي، والسلام العالمي، والعلاقات بين الشمال والجنوب ومشاكل الديون، وهجرة العقول من البلاد النامية إلى البلاد المتقدمة ... الخ.

خامسًا- تحقيق الصحة النفسية:

إن العالم العربي والإسلامي مستهدف ماديا وثقافيا. وهذا يتطلب درجة عالية من الصحة النفسية بجانبيها الشعوري والجسدي، وذلك لتتحمل الأزمات بالصمود ومواجهة التحديات. (٥٦)

(٥٥) نبيل على: اللغة العربية والحاسوب، القاهرة، دار غريب للنشر، ١٩٨٨م.
(٥٦) المرجع السابق، ص ٤٧٠.

إن الصحة النفسية بشقيها: الشعوري والجسدي، من أهم مقومات القوة والقدرة لمجتمع اليوم الذي يريد أن يكون له مكان في الأرض فضلا عن مكانة. "إن المستقبل يتطلب أشخاصا قادرين على الانفتاح، والتواصل، والتفاعل، والمشاركة، والتسامح، وإقامة علاقات التكافؤ والندية، والتعامل الديمقراطي الذي يضمن الاعتراف بالذات وبالآخر ككائن شبيه. وكلها تقوم على الصحة النفسية التي تحدد الآن عينة القدرة القيادية، ذات الوزن الحاسم في التعامل مع تحديات التحولات المتسارعة"(٥٧)

إن إنسان هذا العصر يعاني من اعتلال الصحة النفسية؛ لأنه يعاني من الفقر الشديد في السلام مع النفس، ومن فقر مماثل في السلام مع الكون من حوله. ومن أوضح مظاهر الفقر في السلام مع النفس، انتشار الأمراض النفسية والعقلية والعصبية، نتيجة عدم الإيمان بالله، وعدم وضوح المنهج والهدف، وكثرة الإضلال والتضليل، وما يترتب على ذلك من شيوع الحروب، والدمار، وشيوع الإدمان والانتحار، وشيوع الاغتصاب والشذوذ والإيدز - رغم الإباحية الجنسية - وشيوع التلوث والمحرمات ... إلى آخره.

إن الصحة النفسية لا تتحقق إلا إذا أقمنا العدل والسلام في عقول أبنائنا وضمائرهم. وهذا يقتضي: السلام مع الله، والسلام مع النفس، والسلام مع الناس، ومع مفردات الكون من حولنا، وهذا لا يمكن أن يتم من خلال مناهج التربية المنحرفة، التي تدرس الطبيعة على أنها خالقة، وأنها الجوهر الأول، وأصل كل شيء، ومصدر كل شيء - كما يعتقد أنصار المدرسة المادية- كما لا يمكن أن يحدث من خلال الدراسات النفسية التي تنكر الغيب، وتتنكر لمنهج الله، ولا تعترف بغير القوى المادية المحسوسة وفصل الدين عن الحياة!

(٥٧) مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص ٤٧٠.

إن منهج الله الذي أنزله لتوجيه حياة البشر، هو نظام كوني، متصل بناموس الكون العام، ومتناسق معه. ومن ثم فإن الالتزام بهذا المنهج ناشئ عن ضرورة تحقيق التناسق بين حركة الإنسان وحركة الكون الذي يعيش فيه. وبذلك فإن العمل بهذا المنهج ضروري لتحقيق هذا التناسق، وبالتالي تحقيق الصحة النفسية للإنسان والمجتمع.(٥٨)

إن هذا التناسق يحقق للإنسان السلام مع نفسه، كما يحقق له السلام مع الكون المحيط به. أما السلام مع النفس فينشأ من توافق حركة الإنسان مع دوافع فطرته الصحيحة، وبذلك تنتظم حركة الإنسان الظاهرة مع دوافع فطرته المضمرة، وبذلك تتحقق الصحة النفسية للإنسان.

وأما السلام مع الكون فينشأ من تطابق حركة الإنسان مع حركة الكون المحيط به في الاتجاه والغاية. وبذلك يتحقق الخير للبشرية عن طريق هدايتها وتعرفها في يسر إلى أسرار هذا الكون، والطاقات المكنونة فيه، والكنوز المذخورة في أطوائه، واستخدام هذا كله وفق منهج الله لتحقيق الخير البشري العام، بلا تعارض ولا اصطدام.

وبذلك تتحقق الصحة النفسية للإنسان أيضا. والعكس بالعكس؛ فإنه عندما يحيد الإنسان عن منهج الله فإن ذلك يحدث نوعا من الشقاق، الذي يؤدي حتما إلى كوارث نفسية وكونية. فالحياد عن منهج الله يحدث الشقاق بين الإنسان وفطرته السليمة التي فطره الله عليها، فيصاب بأبشع الأمراض النفسية والجسمية.

كما أن الحياد عن منهج الله يحدث الشقاق بين الإنسان من جانب، وبين الكون من حوله، الخاضع لله بفطرته من جانب آخر، فتحدث الكوارث الطبيعية، التي تدمر

(٥٨) على احمد مدكور: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، القاهرة، دار الفكر العربي الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص ١٧٢-١٧٣.

الإنسان؛ حيث تنقلب طاقات الكون وذخائره وقواه من وسائل لتعمير الحياة وترقيتها إلى عوامل تدمير وخراب وشقاء للإنسان والبيئة والأرض جميعاً.(٥٩)

لاشك أن الصحة الجسدية هي الأخرى شرط القوة والاقتدار. فالمعروف أن المستقبل يقوم أساسا على القدرة من خلال تعظيم الطاقات الحيوية. فالمستقبل " يتطلب نخباً أكْثَرَ ذكاءً للتعامل مع تكنولوجيا أكثر ذكاءً بدورها. ويتطلب مستوى أكثرَ تقدماً في نشاط العمليات العقلية العليا للإحاطة بقضاياه المتزايدة في شموليتها وتعقيدها. كما يتطلب التكامل بين الدماغ الأيسر؛ حيث تسود عمليات التحليل والمنطق والتسلسل، والتنظيم والرياضيات ، والدماغ الأيمن؛ حيث تنشط عمليات الخيال المبدع ، والعاطفة، والقدرات المكانية ، والحساسية للتجارب المعاشة "(٦٠).

وتجدر الإشارة إلى أن التكامل بين الجانب الشعوري في النفس وبين الجانب الجسدي أمر متفق عليه. فصحة المشاعر والضمائر والعواطف والعقول تتكامل مع الصحة الجسدية فتتيح نمو الطاقات الحيوية، واستخدامها بفاعلية، عن طريق تحريرها من الأزمات النفسية ، والصراعات الانفعالية التي تستنزف طاقاتها وتبددها.

إن هذا التكامل بين الجانبين الشعوري والجسدي في النفس هو أساس المرونة والتكامل في النشاط الذهني، وإطلاق طاقاته المبدعة. كما أن هذا التكامل هو الذي يحدد الخصائص الشخصية والسلوكية للإنسان؛ كالمرونة في المواقف، والاتجاهات والأحكام والمتانة الشخصية، والثقة بالنفس، والقبول الإيجابي لمفهوم الذات كمدخل للثقة بالعالم والانفتاح على الآخرين، والشعور بالأمن والطمأنينة.

(٥٩) المرجع السابق، ص ١٧٤.
(٦٠) مصطفى حجازي، ص ٣٦٩.

وهكذا فإن الطابع الكوني الشمولي للمستقبل يتطلب صحة نفسية فردية واجتماعية على درجة عالية من التكامل، قادرة على إثبات ذاتها ، وتعظيم فرصها واستيعاب التحولات والمفاجآت، من خلال مرونتها وقدرتها على إدارة التغيرات في ضوء ثوابتها ورؤيتها للكون والإنسان والحياة.

إن إعطاء الأهمية لبرامج علم النفس والصحة النفسية والإرشاد النفسي والتربوي ابتداء من الحمل، فالميلاد، فمراحل المهد، فالحضانة، فمراحل التعليم العام حتى نهاية الدراسة الجامعية، لم تعد ترفا، بل استثمار أساسي في أصول التربية، من أجل إعمار الأرض وترقية الحياة.

والخلاصة أن الصحة النفسية للفرد والمجتمع إنما تتحقق من خلال منهج للتربية يبدأ بسلام الإنسان مع الله، وسلامه مع نفسه، ومع المحيطين به .. وصولا للسلام مع مفردات البيئة والطبيعة والعالم كله من حوله. فإذا اكتملت تربية الإنسان واكتمل تأهيله وفق هذا المنهج، فإنه لن يكون قادرا على المشاركة في صناعة المستقبل فقط بل إن الاستقامة على العدل والسلام تصبح طابعه الحضاري.

سادسا- إعادة النظر في نظامنا التعليمي:

إن نظامنا التعليمي قد أصبح كالثوب المهترئ، فلابد من إعادة النظر فيه بحيث يكون علي النحو الآتي:(٦١)

١- التعليم في سنوات الحضانة ورياض الأطفال يترك للأسرة وأولياء الأمور كل حسب ظروفه الزمانية والمكانية.

(٦١) انظر: علي أحمد مدكور: الشجرة التعليمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢- تبدأ في مرحلة التعليم الأساسي الإلزامي من سن السادسة(٦) وتمتد إلي سن الثامنة عشر (١٨). وتتكون هذه المرحلة الأساسية الإلزامية من ثلاث حلقات:

الأولي: التعليم الابتدائي (٦-١٢).

الثانية: التعليم الإعدادي (١٣-١٥).

الثالثة: التعليم الثانوي(١٦-١٨).

٣- وفي الحلقة الثالثة- التعليم الثانوي- لابد من ضم المدارس العامة والفنية بجميع أطيافها في مدرسة واحدة، تسمي المدرسة الثانوية المتكاملة. بحيث تتكامل فيها العلوم الأدبية والفنية والاجتماعية مع العلوم الأساسية.

٤- تسير الدراسة في هذه المدرسة بأسلوب المنهج المحوري: معظم المواد محورية إجبارية+ مادتان اختياريتان مؤهلتان للتعليم العالي.

٥- الدراسة منتهية في المدرسة الثانوية، ومؤهلة لسوق العمل وللتعليم العالي لمن يرغب.

٦- الشهادة الثانوية تؤهل صاحبها للتقدم لتعليم العالي خلال عشر سنوات من تاريخ الحصول عليها.

٧- التعليم الحرفي يكون في مراكز متنوعة تابعة للمجالات الصناعية والزراعية والتجارية لمن لم يستطيعوا مواصلة الدراسة في مرحلة التعليم الأساسي، أو لأي سبب آخر.

٨- التعليم الفني يكون للحاصلين علي الشهادة الثانوية، ويكون في مراكز ومعاهد متنوعة وملحقة بالوزارات والمصانع والمزارع، وتتراوح مدتها بين ستة أشهر وعامين.

٩- التعليم العالي بجميع أطيافه- يقبل الحاصلين على الشهادة الثانوية أو ما يعادلها أو الثانوية+ شهادة المعاهد الفنية، وذلك وفق معايير ثلاثة:

أ - المجموع العام في الثانوية العامة، ويوضع حد أدني فقط للقبول في كل قطاع من قطاعا الدراسة.

ب- مجموع الدرجات في المادتين أو المواد المؤهلة.

جـ- النجاح في الاختبارات التي تقيس الاستعدادات والاتجاهات والقدرات التي لابد أن يتمتع بها الطالب المتقدم للدراسة في الكلية أو المعهد الذي يريد الالتحاق به.

١٠- من حق كل كلية أو مؤسسة أن تقبل الأعداد التي تحددها لنفسها، والتي تستطيع أن تعلمها وتدربها، وتحقق فيها معدلات الجودة والاعتماد المطلوبة.

١١- التعليم العالي: الجامعات ومؤسسات التعليم العالي الأخرى، مؤسسات مستقلة ومحكومة بأمرين: أ- قانون تنظيم الجامعات.

ب- معايير الجودة والاعتماد الموضوعة على المستوى القومي.

١٢- يتكون التعليم العالي من:

أ- الجامعات والمعاهد والمؤسسات الحكومية. ويجب أن تؤسس في كل محافظة جامعة حكومية واحدة على الأقل.

ب- الجامعات والمعاهد الأهلية، معنى أنها أهلية أنها غير ربحية. وهي جامعات تسهم في ميزانياتها الحكومية، والقطاع الخاص، ومؤسسات الإنتاج والأوقاف الخيرية، والتبرعات. وهي تستثمر هذه الأموال في الإنفاق على طلابها. ورغم أن الطلاب قد يدفعون مصروفات تعلوا وتنخفض وفقًا لمدي

تفوقهم الدراسي، إلا أن الجامعة الأهلية تتحمل القدر الأكبر من تكاليف الطالب؛ فجامعة هارفارد- مثلا- تنفق على الطالب تسعة أعشار تكاليفه أما المصاريف التى يدفعها الطالب فهي تمثل العشر فقط.

يجب أن تكون في كل محافظة من محافظات مصر جامعة أهلية أو أكثر.

جـ- الجامعات والمعاهد الخاصة، هذه جامعات ربحية بالطبع، يدخل إليها من الطلاب من لم يجد الفرصة التي يريدها في الجامعات الحكومية أو الأهلية..

١٣- الجامعات والمعاهد ومؤسسات التعليم العالي عامة؛ الحكومية، والأهلية، والخاصة لابد أن تخضع لمعايير الجودة والاعتماد في أربع حالات:

أ - في الترخيص لها بالإنشاء.

ب- في تقويم الأداء أثناء العمل.

جـ- في تقويم الخريجين.

د - في إيقافها عن العمل إذا لم تتوافر المعايير.

١٤- مؤسسة الجودة والاعتماد يجب أن تراعي أن تكون معاييرها مشتقة من:

أ - طبيعة المعرفة في هذا العصر.

ب- الأسس النفسية لطلاب التعليم العالي.

جـ- الأسس الاجتماعية للمجتمع المصري من حيث حاجاته ومطالبه وتطلعاته المستقبلية، وعاداته وتقاليده، وحاجات السوق فيه.

١٥- مؤسسة الجودة والاعتماد لابد أن تكون مستقلة تمامًا عن وزير التربية والتعليم يجوز للوزير أن يكون عضوًا فيها، لكنه لا يترأسها، وليس له سلطان عليها،ورئيسيها يعين من قبل رئاسة الجمهورية.

١٦- يمتد عمل هذه المؤسسة ليشمل تقويم الأداء في جميع مراحل التعليم.

١٧- تنشر تقريرا عن التعليم سنويًا، وتقدم نسخة منه إلى رئاسة الجمهورية التى يحيله على المجالس النيابية للمناقشة، ثم الوزارات المختصة للتنفيذ.

١٨- المجلس الأعلى للجامعات هو أعلي سلطة في إدارة الجامعة، ويليه مجلس الجامعة، فمجلس الكلية، فمجلس القسم. ويجوز أن تمثل بعض قيادات لمجتمع المدني ومؤسسات الإنتاج والخدمات في هذه المجالس.

المعلمون:

يستحيل تطوير نظام التعليم الأساسي دون تطوير الأحوال المادية والفنية للمعلمين:

أ – الأحوال المادية لابد أن تتعدل بحيث تضمن للمعلم حياة كريمة.. وبدون هذا علينا أن ننسي كل ما سبق أن ذكرناه.

ب- أداء المعلم لا يمكن أن يتطور إلا إذا:

- تم تخفيض العبء التدريسي إلي ١٥ حصة بحد أقصي؛ أي بمعدل ٣ حصص في اليوم الدراسي، والباقي يترك للنشاط الرياضي والثقافي وتصويب أداء التلاميذ وكراساتهم.

جـ- خفض عدد التلاميذ إلى ٢٥ أو ٣٠ بحد أقصي في حجرة الدراسة.

د – تدريب المعلمين أثناء الخدمة في مدارسهم، واعتبار المدرسة هي الوحدة التدريبية الأساسية.

هـ- استخدام تكنولوجي الاتصالات كالبرامج المتلفزة، والدوائر التلفزيونية المغلقة والندوات التلفزيونية، والفيديو كونفراس في تدريب المعلمين حيث هم؛ فهم يتدربون حيث يعملون، ويعملون حيث يتدربون.

و- ترقية المعلمين يخضع لمدى ما حصل عليه من دورات تدريبية، ودبلومات تربوية ومهنية، ودراسات عليا على مستوى الماجستير والدكتوراه.

ز- لابد من الترخيص لمزاولة "مهنة التدريس"؛ بحيث لا تصبح مهنة من لا مهنة له وبحيث يخضع كل معلم بزوال المهنة إلى اختبار لكفاءة كل خمس سنوات على الأقل بحيث يظل فيها من ثبتت جدارته، ويخرج منها أصيب بالقدم المعنوي والفكري والمهاري.

أعضاء هيئة التدريس:

كل ما سبق سيتعذر التنفيذ ما لم تتوافر الشروط الآتية:

أ- رفع مرتبات أعضاء هيئة التدريس إلى مستوي الكادر القضائي على الأقل.

ب- عندئذ يلتزم عضو هيئة التدريس بالتواجد أربعة أيام أسبوعيًا علي الأقل في مقر عمله، بحيث يؤدي عبئه التدريسي وساعاته المكتبة وفقًا للجداول المعتمدة من الكلية والجامعة.

جـ- يقوم عضو هيئة التدريس بواسطة عميد الكلية أو المعهد المختص، ورئيس الجامعة ويحاسب وفق قانون تنظيم الجامعات، ووفق معايير الجودة والاعتماد التي أقرتها مؤسسة الجودة.

د- ترقية أعضاء هيئة التدريس من اختصاص لجان الترقيات العامة الموجودة حاليا ويجوز تطوير لوائح الترقيات بما يؤكد المتانة العلمية والمهنية. وأن تكون ترجمة

البحوث والكتب الحديثة في التخصص ضمن متطلبات الترقيات في إنتاج أعضاء هيئة التدريس.

هـ- تخضع عملية مراقبة الأداء، وجودة التعليم العالي، والترخيص لإقامة مؤسساته والاستمرار في الأداء، وتجديد الترخيص لها بالعمل لمعايير الجودة والاعتماد التى تضعها مؤسسة الجدة والاعتماد على المستوي القومي.

١٩- التعليم في مؤسسات التعليم العالي مجاني:

أ - للناجحين في اختبارات القبول الحاصلين علي شهادة الدراسة الثانوية بمجاميع عالية، على نحو ما هو متبع في الجامعة الأمريكية بالقاهرة(٨٥٪ فما فوق).

ب- بالنسبة للناجحين في اختبارات القبول ومن تتحقق فيهم الشروط التي حددتها المؤسسة لكنهم من ذوي المجاميع المتوسطة (من ٧٠٪ إلى ٨٥٪ مثلا) يدفعون نصف التكلفة.

جـ- بالنسبة لمن تتوافر فيهم الشروط وينجحون في اختبارات القبول من ذي المجاميع المنخفضة (٥٠-٧٠٪) يدفع تكاليف تعليمه كاملا.

د - يستطيع الطالب أن يتحول من فئة من الفئات السابقة إلى الفئة التى فوقها أو التي أسفل منها تبعا لاجتهاده والتقديرات التى يحصل عليها خلال أعوام الدراسة.

هـ- مؤسسات التعليم العالي الخاصة لمعايير الجودة والاعتماد في الترخيص لها بالعمل، وفي السماح لها بالاستمرار في العمل، وفي تجديد الترخيص.

سابعًا- من المعرفة إلى الحكمة:

إن العلم الذي لا يحكم زمامه العدل يتحول إلى وسيلة للخراب والدمار، ويحول دون تحقيق الإنسان للغاية من خلقه، وهي إعمار الأرض وترقية الحياة.

وإن المعرفة بدون حكمة قد حولت من يملكون المعرفة إلى غيلان وحولت العالم إلى غابة يستبد فيها القوي بالضعيف، وتستخدم فيها المعرفة في القتل والهدم والتآمر، وإشاعة الحروب، والاستيلاء على الأوطان والأموال، وخراب الديار، والاعتداء على النساء والأطفال، وكل كائن حي!

لذلك لن يسود السلام في العالم بمجرد الحصول على المعرفة، بل لابد من سياسة المعرفة بالحكمة... الحكمة التي قال الله فيها:

﴿... وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا... ﴾ البقرة: من الآية ٢٦٩

الحكمة التي هي أمل المستقبل، وعلمه الشامل الحكمة التي هي أصفى رحيق يقطره عقل الإنسان.

إن العقبات أمام دخولنا إلى مجتمع المعرفة والحكمة لا توجد على أرضنا ولا في سمائنا، ولكننا أقمناها في نفوسنا. أو كما يسميها التقرير الياباني عن أهداف اليابان في القرن الحادي والعشرين -تخوم الداخل- *The Frontier Within* فقد تخفي على الكثيرين حقيقة أن الحدود التي تحد من حركتنا وتطلعاتنا وقدرتنا على الفعل والإنجاز هي في أغلب الأحيان حدود قائمة بالداخل، وليست نتيجة وجود عوائق أو قيود غريبة

عنا. وكما أن السياج الذي يحوطنا ويحد من حركتنا قائم في الذات؛ فقد أقمناه بأنفسنا لأنفسنا، فكذلك تكون القدرة على تخطي الحدود، وكسر القيود كامنة بالداخل أيضًا(٦٢).

فإذا اتجهنا صوب أنفسنا، وقمنا بتحليل قدراتنا وقوانا الكامنة، فسيمكننا رفع الحواجز، وفتح حدود المعرفة والإنجاز، صوب آفاق لا نهائية، حيث لا يكون لقدراتنا على الفعل والإنجاز حدود قصوى.

الخلاصة:

أن المواجهة الإيجابية لمؤامرة استنزاف الفضاءات الخارجية من بُعد عن طريق العولمة وحتمياتها التكنولوجية الجارفة، لن يكون إلا بترسيخ الإيمان بالله، والاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية لمواجهة الانهيار العظيم للقيم والأخلاق، والتحول إلى الشورى أو الديمقراطية، وإعادة بناء نظامنا التعليمي من حيث هيكليته، ومنهجية التعليم والتعلم فيه، وإحياء المشروع النهضوي العربي الإسلامي، وبناء الاقتدار المعرفي، وتحقيق درجة عالية من الصحة النفسية، بجانبيها الشعوري والجسدي، وبناء الجسور بين المعرفة والحكمة، التي بدونها يصعب -بل يستحيل- بناء العدل والسلام في عقول البشر.

سؤالان أرجو القارئ الكريم أن يجيب عنهما بعد قراءته لهذا البحث:

الأول- هل تبعَ هذا البحثُ أسلوبَ التفكير الخطي أم أسلوبَ التفكير المنظومي؟

الثاني- هل توقف عند مرحلتي البيانات والمعلومات، أم تقدم نحو مرحلتي المعرفة والحكمة؟

(٦٢) لجنة رئيس وزراء اليابان: تخوم الداخل: أهداف اليابان في القرن الحادي والعشرين، مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد الأول، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ص١١-١٢.

أرجو الله أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن يرزقنا سلامة النهج، وإخلاص النية، والإحسان في العمل، إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ العصر ١: ٣

صدق الله العظيم.